

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سرى جدا !!

روايات
مصرية الجيب

الأسير

137

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر
القاهرة - مصر
1997

الشر

• كيف يمكن أن يواجه البشر شللاً رهيباً
من التيار الكهربائي؟

• هل يمكن أن يواجه (نور) و (أكسوم)
سحرة الشر الرهيبة دون خسائر
بشرية؟

• ترى من ينتصر في هذه المواجهة الرهيبة
.. (نور) وفريقه ، أم قوى (الشر)؟

• اقرأ التفاصيل الشيقة ، وقاتل معقلك
وكيانتك مع (نور) وفريقه .. من أجل
الأرض ..



د. نبيل فاروق

ملف

المستقبل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
من الخيال
الملمس

137

www.liilas.com/vb3

^ RAYAHEENA ^

الكتاب
(الأعالي)

ملف المستقبل

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقلية ما من
حقل المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
المصرية . يدور العمل فيها في هوء تام ، وسرية
مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ،
ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقاس
الحقيقي لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يصل
رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة وبقية
بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقلية جديدة ،
ويتحدى الغموض العلمي ، والآفاق المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
وصلحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نعيم فاروق

١ - جدار الذهب ..

خيم وجود رهيب على تلك القاعة التي تضم خيرة
علماء وباحثي (مصر) ، العاملين في إدارة الأبحاث ،
اللتابعة للمخابرات العلمية المصرية ، وجميعهم يراقبون
تلك الشاشة الكبيرة ، التي تنقل ، بزوية شبه حادة ،
مشهد تلك الأحرار الرهبة ، في قلب (إفريقيا) ، التي
تضاعفت الانبعاثات الحرارية الصادرة منها ، وكأنها
تهضم في نهم ، تلك البقعة العلمية الأمنية ، التي تضم
(نور) وفريقه ، والتي ابتلعها في جوفها ، منذ
سقوط طوفانهم فيها ..

وفي توتر شديد ، غمغم الدكتور (جلال) ، رئيس
مركز الأبحاث العلمية ، وهو يراقب ما يحدث :

- كل شيء يتزايد على نحو مخيف .. الانبعاث
الحراري .. منطقة انعدام الرؤية الرقمية .. رقعة
نفوذ ذلك الكاهن المزدوج .. كل شيء ..

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث الرهيبة ، منذ
البداية ..

منذ لفتتاح تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار ،
عند هضبة أهرامات (الجيزة) ..

يومئذ ، كانت القاعة تعرض بعض الآثار الفرعونية
والإفريقية ، التى عثرت عليها البعثة الأولى ، داخل
معد فرعونى غامض ، تحكمه عقيدة مسخرة (الفودو)
فى قلب الأحراش الإفريقية ..

ومن بين تلك الآثار ، كان إصبع للشيطان ..

إصبع أخضر اللون ، له لظفر دموى مخيف ، يشير
الرهيبة والرعب فى نفس كل من يراه .. ثم ظهر ذلك
الكاهن الرهيب بفتة ..

كاهن يرتدى لزي الفرعونى ، ويتحنى بعظام بشرية ،
كمسحرة (الفودو) ..

ومع ظهوره ، توالى الأحداث العجيبة ..
والرهيبة ..

كل علماء البعثة قضوا نحبهم ، على يدى ذلك
الكاهن الرهيب ، بوسائل بشعة مخيفة ، تتجاوز كل
حدود العقل والعلم والمنطق ..

كل وثائق وصور وتسجيلات البعثة تم تدميرها
تماماً ..

الأحداث المخيفة الرهيبة توالى ، على نحو لم
يحدث من قبل ، إلا فى مواجهة الفريق مع خصم
شيطانى سابق^(٥) ..

وفى أعماق (نور) وفريقه ، اشتعلت نيران أخرى
رهيبة ..

نيران الضوض ، والإصرار على إيجاد تفسير
علمى منطقى لكل ما حدث ..

ولم يكن هناك سوى سبيل وحيد لهذا ..
بعثة ثانية ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

وعلى الرغم من أن مسئولى تلك الدولة الإفريقية ،
التي تقع الأحراش المحظورة داخل حدودها ، كانوا
يعرفون كل ما يحدث ، إلا أنهم ، وتحت الضغوط
الديبلوماسية ، اضطروا لقبول البعثة القلبية ، والموافقة
على توغّلها وسط أحراش (إفريقيا) ..

ولكن الكاهن الرهيب كان له رأى آخر ..
فملئ الساعات الأولى لبعثة (نور) وفريقه فى
(إفريقيا) ، بدأت المواجهة ..

طوفتهم سقطت عمداً ، داخل منطقة تتبع نفوذه ..

الأحراش الحية أحاطت بهم من كل صوب ..
ظلام صناعى مخيف سيطر على كل شيء من حولهم ..
هاجمتهم وحوش خفية ..
وأشجار متحركة ..

و

وتم اختطاف الجميع ، فيما عدا (نور) و (أكرم) ..

المختطفون واجهوا أمورا رهيبية ، مفرعة ، مرعبة ،
وسط ظلام دامس رطب ..

أمور تمت خلالها السيطرة على عقولهم ..
تماما ..

لما (نور) و (أكرم) ، فقد كان عليهما أن يقطعاً ذلك
الطريق الرهيب ، إلى المعبد الفرعونى ، الخاضع لسحرة
(الفودو) ، فى قلب الأحراش الحية ..

وفى سبيل هذا ، واجههم شلال رهيب ..
شلال النار ..

جدار هائل من اللهب ، ينهمر من أعلى إلى أسفل ،
على عكس كل القوانين الطبيعية ، ويكاد للحه وحده
بأنبيهما من شدته ، وهو يقطع الطريق بينهما وبين
المعبد ، حيث يحتفظ لكاهن الرهيب برفاقهم الباقين ..

وعلى الرغم من هذا ، وبمبادرة مذهلة غير مألوفة ،
وثب (نور) وسط شلال النار ..

وصرخ (أكرم) يناديه ، بكل رعب الدنيا ..

ولكنه لم يتلق جواباً ..

أى جواب .. (*)

كل هذا لم يعلمه أى مخلوق ، خارج منطقة
الأحراش ..

آخر ما بلغهم ، أو أمكنهم التوصل إليه من
معلومات ، هو أن طوافة للبعثة قد سقطت فى قلب
الأحراش ..

بعدها انقطعت الأخبار تماماً ..

الشيء الوحيد ، الذى رصده بعدها ، هو ما يحدث
للأحراش نفسها ، من تصاع فى رقعة النفوذ ، ومنطقة
العلم الروية الرقمية ، والانبعاث الحرارى ، الذى صنفه
الكمبيوتر باعتباره أشبه بعملية من عمليات الجسد البشرى
الحيوية ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزئين الأول والثانى (لودو)
و (الأحراش الفلسفية) .. المقامرتين رقمى (١٣٥) و (١٣٦) -

صلية الهضم ..

وكان هذا يضى أن الأحراش الرهيبة الغامضة
تهضم البعثة ..

بعثة (نور) وفريقه ..

« ماذا ينبغي أن نفعل إزاء هذا .. »

التقى أحد علماء المركز السؤال ، هلى مسماع
الدكتور (جلال) ، فتنزعه من أفكاره ، وجعله يمحط
شفتيه فى لى ، مغمضاً :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

اندفع عالم آخر ، يقول فى انفعال :

- رجالنا يحتاجون إلى دعم منا حتماً ، فى ذلك
الجحيم ، الذى أرسلناهم إليه ..

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية مريرة :

- هذا لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة .

أعادت عبارته الوجود إلى المكان ، وراح الكل
يتطلع بعضهم إلى البعض ، بنظرات ملوّهة لرعب
والارتياح ، قبل أن يقول أحدهم بقتة :
- إنهم كذلك .

التفت إليه الجميع ، في لهفة تمتزج بالدهشة ،
وسأله الدكتور (جلال) :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة ، قائلاً في حماسة :
- عملية الهضم هذه .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، التي يشير إليها ، قبل
أن يعودوا بأبصارهم إليه ، فتابع بنفس الحماسة :

- استمرارها يعنى أن الأمر لم ينته بعد .

استدار الدكتور (جلال) بحركة حادة ، يحدق في
الشاشة ثانية ، قبل أن يغمغم في توتر شديد :
- ولكنها بدلت .

ضرب للعالم سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف في
هزم :

- وما زالت أمامنا فرصة لمنعها .

ثم استترك في الفعّال :

- لو وجدنا الوسيلة المناسبة .

تألفت عنّا الدكتور (جلال) وهو يستدير إليه
بنفس الحدة ، قائلاً بحزم أكبر :

- أن تكون لنا مهمة سوى هذا .

ثم تحرك وسط العلماء ، متابعاً بكل الحماسة ،
التي تفوح بلمحة أمل :

- منوقب كل المشاريع الأخرى فوراً ، ونوجّل المهم
منها إلى ما بعد حسم هذه القضية .. لكل سعيه دراسة
الموقف منذ البداية ، بوجهة نظر جديدة ، وبالأذات تلك
لظاهرة الخطة بالانبعاث الإشعاعي الصوى .. سندرسها
على كل المستويات ، وبكل الوسائل ، وعلى كل

الاحتمالات ، وستكون مهمة مركز الأبحاث العلمية
الأولى هي البحث عن وسيلة للسيطرة عليها
لوتحييدها على الأقل ، و ...

قارعه هناك أحد العلماء المذعور ، وهو يشير إلى
شاشة الرصد الحرارية :

- يا إلهي ! انظروا !

استدار الجميع بحركة حادة ، وانفعال جارف ،
إلى الشاشة ..

وانتفضت أجسادهم كلها بمنتهى العنف ، وقلوبهم
تهوى بين أقدامهم ..

فلجأة ، ودون مقدمت ، تضاعف الانبعاث الإشعاعي
الحيوي ، الصادر من تلك الأكراس الوخضية الحية ..
تضاعف على نحو يوحى بأن أمراً خطيراً عتيفاً يحدث
هناك ..

عتيفاً للغاية ..

لنصف بقية كاملة ، حدق (أكرم) في شلال النار
بذهول ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه في عنف ، قبل أن
تتطلق تفاعلاته من أعماق أصمق صدره ، في صرخة
قوية مرتاعة :

- يا إلهي ! (نور) !!!

لم يكذ ينطقها ، حتى التفتت لئلاء صوتاً بعيداً ضعيفاً
يهتف باسمه ، فانتفض جسده في عنف ، وهتف في
شيء من الذهول :

- (نور) !!

مرة أخرى ، ترتد النداء في أذنيه ..

كلاً .. ليس في أذنيه ..

في عقله ..

نعم .. في أعماق أصمق خلايا مخه الرمادية ..

وانتكد حاجباه في توتر بالغ ، وجسده يرتجف من
فرط الانفعال ، الذي اكتسب به لسانه ، وهو يقول
في عصبية زائدة :

- (نور) !! أهو أنت !!

ارتفعت نبرة الصوت أكثر في أصغاه ، وهو يقول :
- لا تخف يا (أكرم) .. القفز .. القفز .. القفز كما فعلت لنا ..
هيا .

حدثني (أكرم) في شلال النار المنهمر ، وعمر في
ارتفاع :

- القفز ؟! وسط جدار النار هذا ؟! مستحيل !

مرة أخرى ، تردد الصوت في أصغاه باهتًا ضعيفًا :
- لا تخف يا (أكرم) .. القفز .

اتخذ حاجباه أكثر ، وسرى التوتر رهيب في عروقه ،
وراح جسده يرتجف أكثر وأكثر ، على الرغم من
الحرارة الشديدة ، التي تلتفح جسده ، من النيران
المنهمرة على مسافة أمتار قليلة منه ..

ولكن عقلة انطلق يعمل كالصاروخ ..

ترى ما الذي يتردد في أصغاه بالضبط ؟!

أهو (نور) ، يستغل تلك القدرة العقلية ، التي

اكتسبها بقية ، والتي قرأ بوساطتها أفكاره منذ قليل ،
ليرشده برسالة تخاطيرية ، عما ينبغي أن يفعله ،
ليتجاوز شلال النار ؟!

أم أنها خدعة جديدة ، من ذلك الكاهن الرهيب ؟
خدعة تدفعه إلى قلب النيران ، كما فعل مع (نور) ..
ربما كانت تلك القدرة العقلية هي أساس الخدعة ..
ربما ..

ذلك الكاهن لكسبه إياها ، حتى يدفعه برسالة وهمية
إلى القفز وسط النيران الرهيبة ..

ربما أن هذا ما حدث بالفعل ..

وما دفع (نور) إلى القيام بتلك القفزة الجنونية ؟
والآن تتكرر اللعبة معه ..

هذا هو التفسير المنطقي لما يحدث ..

خاصة وأن (نور) قد اختلى تمامًا وسط اللهب ،
ولم يعد يجيب نداءاته ..
ولكن مهلاً ..

إنه أيضًا لم يطلق صرخة واحدة ..

لقد قفز وسط نيران مستعرة ، يكاد لفحها يشعل
ثيابه ، دون أن يطلق صرخة ألم واحدة !!
وهذا مستحيل !

لا آلام تفوق آلام النار^(*) .

لهذا توعد بها الله (سبحته وتعالى) الكفار والمشرعين
والمذنبين ..

ومن المستحيل أن يسقط شخص - أي شخص -
وسط نيران رهيبه كهذه ، دون أن يطلق ولو صرخة
واحدة !

مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

(*) حقيقة .

هذا يعنى أن الاحتمال الأول هو الأرجح ، على الرغم
من غرابته ، وتعارضه الشديد مع العقل والمنطق ،
وكل قواعد العلم المعروفة ..

« لقفز يا (أكرم) .. لقفز .. »

تردد النداء في أعصافه مرة أخيرة ، بصوت باهت
للغاية ، ثلاثت نهايته دون أن تكتمل ، فلتفص جسده
مرة أخرى ، وزاد تعلك حلقبيه ، حتى كادا يمتزجان ،
وهو يعصر ذهنه وإرادته لاتخاذ القرار ..

أخطر قرار في حياته كلها ..

قرار بأن يقفز بإرادته وسط أكثر شيء أثار رهبته
وخوفه ، في حياته كلها ..

شلال النار ..

وبصعوبة بالغة ، تردد لعابه ، وتمتم مكرراً العبارة ،
التي تتردد في أعصافه :

- لقفز يا (أكرم) .. لقفز ..

تراجع في توتر شديد ، ووقف يتطلع برهبة بالغة
إلى شلال النار ، قبل أن يضم شفتيه ، متمتماً في
خفوت وحزم شديدين :
- على بركة الله .

ودون أي سبب منطقي ، انطلقت من حلقه صرخة
عالية ، وهو يندفع بكل قوته نحو شلال الذهب ، و...
ويقفز ..

بحركة غريزية ، رفع ذراعيه ليحمي وجهه ، من لطم
النيران ال رهيب ، وجسده يندفع عبر النيران ، و...
وفجأة ، تلاشى اللطم دفعة واحدة ..
ودون لذة ألم واحدة ..

وفي لحظة عبوره السنة الذهب المنهمرة ، رأى
(نور) ..

راه يقف على حافة أخرى ، خلف شلال النار ..
نفس الحافة التي هبط بقفزته فوقها ، وهو يهتف
في تفعل شديداً :

- رياه ! لقد غطتها يا (نور) .. فعلتها .
ابتسم (نور) ، وهو يضع يده على كتفه في
ارتياح ، قائلاً :

- نعم يا صديقي .. لقد غطناها .
استدار (أكرم) يتطلع إلى شلال النار من الجانب
الأخر ، هاتفاً :

- ولكن كيف يا (نور) ؟؟ كيف ؟! لقد عبرنا
جداراً من الذهب ، دون لذة ألم واحدة !! كيف ؟!
أشار (نور) إلى شلال النار ، قائلاً :

- إنها ليست ناراً حقيقية يا صديقي ، بل مجرد
خداع بصري ضولي فحسب .

اتسعت عينا (أكرم) في دهشة ، وهو يهتف
معرضاً :

- مستحيل ! لقد شعرنا بلحمها الرهيب !
ابتسم (نور) ، قائلاً :
- هنا تكمن براعة الخدعة يا صديقي .. اللطم ..

توار من هواء ساخن ملتهب، أمام جدار من الذهب
الزائف، يوحى بأنك تواجه شلالاً من النار.

حقيق (أكرم) فيه بذهول، وعاد يتطلع إلى شلال
النار، مغمضاً:

- مستحيل!

ثم هز رأسه في شدة، وكأما ينفذ عنه ذهوله،
قبل أن يهتف:

- ولكن كيف؟! كيف أدركت هذا؟!

هز (نور) كتفيه، مجيباً:

- لم أدركه، ولكنني استنتجته.

غمغم (أكرم) مبهوراً:

- استنتجته؟!

لوما (نور) برأسه إيجاباً، وقال في حزم:

- لفح النيران كان يهتف في وجهنا، وكأما تنفعه

الرياح نحونا، في حين أن السنة الذهب تتهمر، من
أعلى إلى أسفل.. واتهمرها على هذه الصورة آثار
شكوكي منذ قديمة، لأنه يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة.

همهم (أكرم) في عصبية:

- كل ما واجهناه هنا يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة،
والكيمياء، وحتى علم الحشرات.

هز (نور) كتفيه مرة أخرى، قاتلاً:

- هذا صحيح، ولكن شيئاً ما في أعماقي قبائلي
بأن هذه النيران ليست حقيقية.

سأله (أكرم) في اهتمام متوتر:

- شيء مثل ماذا؟!

تنهّد، وهو يهز رأسه، مغمضاً:

- ليست أدري.

حقيق (أكرم) في وجهه لحظة، ثم سأله في
اهتمام عجيب:

- وهل وثبت عبر النيران ، اعتماداً على استنتاجك ،
وذلك الشيء الغامض في أعماقك فحسب ؟!

لوماً (نور) برأسه ، قللاً :

- ألا يكفى هذا ؟

سأله في اهتمام أكثر :

- هل تلقى باستنتاجاتك إلى هذا الحد ؟!

اهتسم (نور) ، ورهت على كتفه ، قللاً :

- ألم تدرك هذا أبداً يا صديقى ؟!

تراجع (أكرم) ، وهو يتطلع إليه ، مجيباً بأنفاس
مبهورة :

- بل أدركته .

وصمت لحظة ، ثم هز رأسه ، مضيقاً :

- ولكننى لم أقصّر أن يبلغ حد القفز وسط النيران .

ومط شفتيه ، ليتابع فى عصبية :

- ثم كيف ..

استوقفه (نور) بإشارة من يده ، قللاً :

- رويك يا صديقى .. أنا كانت ماهية ذلك الشيء ،

فقد عبرناه بالفعل ، ومن العجيب أن ينشغل ذهنك بأمره ،

حتى لا تنتبه إلى ما لولجه هنا .. على الجانب الآخر .

تتبع (أكرم) إشارة يد (نور) ببصره ، و ...

واتمعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

فعلى الرغم من الظلام ، الذى يمسود ذلك الجانب

أيضاً ، إلا أن عيني (أكرم) أمكنهما تمييز ما يمتد

أمامه ، إلى مدى الرؤية ..

نقد كان صحراء ..

صحراء قلحلة مخيفة ..

فى قلب الأعراس .

* * *

أخذ الرئيس بالجواب الصريح المباشر ، فحدث في
وجه (أمجد) ، مضطرباً :

- إلى هذا الحد ؟

بدا (أمجد) غاضباً إلى حد ما ، وهو يجيب :

- الواقع يا سيادة الرئيس أن هذا السؤال كان ينبغي
أن يسبق الحملة ، لأن يعطيها ، فمن وجهة نظري
كمستشار أممي لسيادتكم ، وكرجل مخابرات سابق ،
لرى أن الحملة قد جرّفت للجميع ، للقيام بعملية
عاجلة حاسمة ، لكشف ذلك الهرم من الغموض
والإمّرار ، الذى خلفه ذلك الكاهن وراءه ، بعد تلك
الأمر الرهيبة ، لقتى قام بها ، نون أن ينتبه شخص
واحد إلى مدى ما تعنيه هذه العملية ، وما تحمله من
مخاطر بلا حدود .

غضب للرجل :

- جميعهم كانوا يعرفون مدى الخطر .

أشار (أمجد) بسبابته ، قسلاً :

٢- الصحراء ..

ثم بكّد (أمجد صبحى) ، للمستشار الأمنى الخاص
لرئيس الجمهورية ، يدخل مكتب الرئاسة ، فى قلب
(القاهرة) الجديدة ، حتى مسأله للرئيس ، فى لهفة
متوترة :

- (أمجد) .. هل بلغتك أخبار بعثتنا فى (إفريقيا) ؟

لوماً (أمجد) برأسه إيجاباً ، وهو يجيب فى حزم :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس ؛ فهذا جزء من طبيعة
عملى .

عاد الرئيس إلى مقعده ، وهو يسأله فى قلق
شديد :

- ما تقييمك للموقف إذن ؟

أجابه (أمجد) فى سرعة وحزم :

- فى منتهى السوء .

- ربما بالتسوية لأنفسهم ، ولكن ليس بالتسوية للنظام كله .

هاتف الرئيس مستكراً :

- النظام ؟ وما شأن النظام ؟

تحرك (أمجد) في الحجرة ، كعادته كلما اقترب تفكيره بحديثه ، وهو يقول :

- المعلومات التي تم جمعها على عجل ، تؤكد أن تلك لدولة الإفريقية كلها تطعم بأمر تلك للكاهن ، منذ زمن طويل للغاية ، وكلهم هناك يخشونه ، ويخشون مجرداً للتحدث عنه .. حتى المسؤولين ، على كل المستويات ، وهذا يعني أن بعثتنا ستواجه تعداد منذ اللحظة الأولى ، باعتبارها مجموعة أجنبية ، تسعى لتلويث (لرض الأرواح للخلدة) ، كما يطلقون عليها الآن .. وحتى يتم تفادي هذا ، بكل ما يمكن أن يحمله من تبعات ، كان من الضروري القيام بعملية تمهيدية ، بواسطة مختبراتنا العلمية ، قبل وصول البعثة إلى هناك .

تعتقد حليبا الرئيس ، وهو يقول في عصبية :

- ولكن هذا لم يحدث ، والأمور تعقّلت بشدة الآن ، ولمنا ندرى ما الذي تولجه بعثتنا ، في قلب تلك الأحرار الإفريقية الرهيبة .. بل ولا ندرى حتى ما إذا كانوا على قيد الحياة ، أم ابتلعهم تلك الأحداث الجهنمية هناك ، فهل سنرى على اللبن المسكوب ، لم نبعث عن حلّ تلك للموقف القامص المخيف ؟

هزّ (أمجد) رأسه في بطم ، قائلاً في حزم :

- ومتى كان للكاهن على اللبن المسكوب قلادة ؟

ثم بدا صارماً حازماً ، وهو يضيف :

- منذ حدثتي ، تعلمت أن الخطوة الأولى ، للقيام بعملية ناجحة ، هي المعلومات .. معلومات عن كل ما يتعلق بالخصم أو بالعملية نفسها .

قال الرئيس في شيء من اليأس :

- لقد بذل خبراؤنا كل جهد ممكن . ودرسوا وحلّوا

كل ما أمكنهم الحصول عليه من نتائج ، إلا أن هذا لم يمنحهم أية معلومات ، فلك الأحرار كثيفة إلى حد مدهش ، وغمضة إلى حد مخيف ، ثم إن كل شيء فيها يسير على نمط غير طبيعي ، إلى الحد الذي يستحيل معه استنتاج أو استنباط أي أمر يختص بها ، وبما يحدث داخلها .

انقعد حاجبا (أمجد) بشدة ، وهو مضغم في تفكير عميق :

- في حالات المماثلة ، كنا نلجأ قديماً إلى عمليات الاستطلاع المباشر .

تمتم الرئيس مستغرباً :

- عمليات استطلاع مباشر ؟!

أجاب (أمجد) في حزم :

- نعم .. في الأيام الخوالي ، عندما كنا نفشل في اختراق نظام منيع ، للحصول على المعلومات ، كنا نلجأ إلى عملية قنصلية ، نرسل من خلالها فريقاً

مدرّباً ، للحصول على المعلومات من المصدر مباشرة ، ونقلها إلى قسم معلوماتنا .

بدأ الاهتمام على رئيس الجمهورية ، وهو يقول ، وقد استهوته الفكرة إلى حد كبير :

- ولكن تلك الدولة الإفريقية لن تقبل أي تدخل منا ، يحمل أية صفة عسكرية ، أو شبه عسكرية ، ثم إنه هناك مشكلة أخرى ، وهي أن منطقة الأحرار تدخل ضمن ما أطلقنا عليه اسم منطقة لطم ، وانعدام الرؤية الرقمية ، وهذا يعني أنه لا توجد وسيلة واحدة للفعل المعلومات ، من داخلها إلى خارجها ، ولا حتى لتشغيل أية أجهزة متطورة هناك .

قال (أمجد) في حزم :

- ربما كانت هذه مشكلة ، بالنسبة لرجال المخابرات العظمى ، الذين اعتادوا التعامل دوماً مع التكنولوجيا والأجهزة المتطورة ، وحتى بالنسبة لرجال قوات المصاعقة الحاليين ، الذين تدرّبوا على استخدام أجهزة الرؤية الليلية ومدافع الليزر .. ولكن ماذا لو اعتمدنا

على شخص ينتمى إلى الطراز التقليدى القديم ؟ شخص
بهبط بمظلة ، خلف خطوط العدو ، ويجمع المعلومات
بأسلوب نمطي ، مع قدرته على التعامل مع لية تطورات
مفاجئة في الوقت ذاته ، بحيث يعود بالمعلومات ،
أو يشارك في إنقاذ أو مؤامرة (نور) وفريقه ،
والفرد بعثته هناك .

تساعل الرئيس في حيرة :

- وأين نجد مثل هذا الرجل الآن ؟

التقط (أمجد) نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب بملتهى
الحزم :

- هنا .

تطلع إليه الرئيس لحظة في تساؤل ، قبل أن تتسع
عيناه في شدة ، وقد أدرك ما يعنيه (أمجد) بقوله ..

ومن المؤكد أن هذا كان بالنسبة إليه مفاجأة !!
مفاجأة مدهشة !

★ ★ ★

لبقية كاملة ، وقت (نور) و(أكرم) يتطلعان في
قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ، التي تمتد إلى
مدى قرؤية ، وسط ذلك الظلام المهييب ، وعلى نحو
يستحيل وجوده في الطبيعة ، وسط أحراش كثيفة كهذه ..

ثم غمغم (أكرم) ، في توتر بالغ :

- الدكتور (مينا) لم يشر قط إلى هذه الصحراء !

قال (نور) ، في توتر مماثل :

- ربما لم تكن هنا ، عندما قاموا ببعثهم الأولى .

استدار إليه (أكرم) في حدة ، هاتفا باستنكار :

- لم تكن هنا ؟

غمغم (نور) :

- ربما .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف في حزم :

- المهم أن نمضي في طريقنا ، فمن المؤكد أن رفقا

يقتربوننا في مكان ما .. في قلب هذه الصحراء ، أو خلفها .

قلها ، ومضى فى سبيله بالفعل ، فتبعه (أكرم) ،
متساقلاً فى عصبية :

— هل تعتقد أنهم ينتظروننا بالفعل ؟

سأله (نور) ، وهو يسير فوق رمال تلك الصحراء
الغامضة :

— ماذا تعنى بسؤالك ؟

زرد (أكرم) لعابه فى توتر ، قبل أن يقول فى
عصبية أكثر :

— أضى أما زالوا على قيد الـ ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فعضَّ شفتيه فى مرارة ،
ثم هتف فى غضب :

— آه لو وقع ذلك لكهن الحقيق فى قبضتى .. سأجده
بنعم على لحظة مجيله إلى عالمنا .

تعدّد حاجبا (نور) ، وقد جذبت العبارة انتباهه
واهتمامه إلى حد كبير ..

لحظة مجيلة إلى عالمنا !



لدقيقه كاملة ، وقف (نور) ، و(أكرم) ينطلقان فى قلق شديد إلى تلك
الصحراء المعجبية

تُرى كم تحمل عبارة (أكرم) هذه من حقائق؟

كم يمكن أن تقترب من واقع الأمور؟

القوة الرهيبة ، التي يتمتع بها ذلك الكاهن توحى
بأنه لا يمكن أن ينتمى إلى عالمنا ..

وبأى حال من الأحوال ..

فهل يمكن أن ينتمى إلى عالم آخر بالفعل؟

هل ؟

ولو أنه كذلك ، فمتى جاء إلى عالمنا ؟

وكيف ؟

ولماذا ظلّ لسنوات ، لا يعظمها إلا الله (سبحانه
وتعالى) ، دون أن يشعر بوجوده أحد ؟

ثم لماذا انتفض من صمته بكل هذا لعنف ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

تُرى هل استولت البعثة الأولى على أشياء ، يمكن
أن تكشف هويته أو منشأه ؟

لقد سمح لهم بتصوير وتسجيل كل ما يحدث في
منطقة نفوذهم ، وهذا يعنى أن أجهزتهم كانت تعمل هناك ،
وإن ما يسجلونه لم يكن بقلقه ، بأى حال من الأحوال ..

ولكن ما إن سرقوا مقتنياته ، حتى جن جنونه ..

والطلق خلفهم كالف شيطان ..

وبكل قوته وطاقته ، قرّر استعادة تلك الأشياء ..

وعلى رأسها ذلك الإصبع المخيف ..

إصبع الشيطان ..

لقد جهر بوجوده ، أمام أعين المملكت ، ليستعبده ..

وبأى ثمن ..

وهذا يعنى أن ذلك الإصبع يمثل بالنسبة إليه أهمية
بالغة ..

وللغاية ..

بل كل الأهمية ..

حتى تلك الجمجمة ، التي أغرقت الدكتور (حجازي)
والدكتور (عبادة) في تجربة رهيبة ، لم تكن تمثل
له الأهمية نفسها ، بأي حال من الأحوال ..

صحيح أنه قد استعلاها أيضاً ، ولكنه لم يسع إليها
بنفس العنف والشراسة أبداً ..

وهذا يعني أن لإصبع الشيطان أهمية خاصة ..
خاصة جداً ..

« يا إلهي ! (نور) ١٢ »

انزعجه هناك (لكرم) للمباغت من سروده وأفكاره ،
فاستدار إليه في مرعة متوترة ، ولكنه رآه يشر في ففعل
إلى قلب للصحراء ، فعاد بعينه إلى حيث يشير ، و ..
واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فما رآه أمامه ، في قلب تلك الصحراء القامضة
كان مفاجئاً ومذهلاً ..
والى أقصى حد !

* * *

فجأة ، ودون مقدمات ، استعاد (رمزي) شعوره
بما حوله ..

لم يكن قائماً ، أو غارق الوعي ، وإنما خُيِّل إليه أن
كبره كان غائباً ، ثم عاد إلى جسده بقعة ، فانتفض ،
واعتدل ، و ...

وشعر ..

وكان من اللواضح أن هذا ما حدث للجميع ، في آن
واحد ..

كثروا كلهم يقفون داخل قاعة المعهد الواسعة ،
بمحاذاة جدرانه المرتفعة ، ذات النقوش الهيروغليفية ،
للمترجمة برموز سحرة (الفودو) ، وقد استعانوا
لزيارتهم القديمة ، وإن بدت وجوههم شاحبة منتفخة
على نحو عجيب ...

وفي منتصف تلك القاعة ، كان يستقر ذلك المذبح ،
الذي يحمل آثار الندام ..

وفي نهاية المعهد ، حيث الجدران الضخمة ، المزدان

بنفوش شيطانية، كنت تستقر تلك العتبة الزجاجية
البدائية، فوق صعود من الحجر، ويدخلها ذلك الإصبع
الأخضر، ذو الإنظر الأحمر بلون الدم.

إصبع الشيطان ..

وعلى مسافة متر واحد منه، في اتجاه مركز القاعة،
كان هناك وعاء ضخم من النحاس، تشتعل تحته
النيران، وينبعث منه بخان خفيف، ينتشر في المكان
كله بنعومة مخيفة.

وبكل توترها وتفعّلها، هتفت (نشوى) :

- أين نحن ؟!

أجابها الدكتور (حجازي) في عصبية :

- في المعهد المزدوج على الأرجح .

تطلعت (سلوى) إلى مارتريدي في دهشة، قبل أن
تهتف :

- ولكننا نركض ثيابنا العلية ! عجباً .. ذكرتي تصرّ
على أنني كنت أركض زياً فرعونياً، و ...

ارتجف جسدها مع صوتها، وهي تضيف في رعب :

- وأنتي قد التقيت بـ (نور)، في قلب الأحراش ..

هتف الدكتور (عبادة) بكل عصبية الدنيا :

- كلنا تحمل نكوى تلك الأرباء الفرعونية .. لاريب

في أنها تجربه حقيقية مررنا بها .

قال المقاتل (أشرف) في توتر :

- تجربة التامت معها كل جروحنا، وشفت كل

إصاباتنا على نحو عجيب .

حرك الدكتور (رمسيس) ساقه، وهو يقول في

دهشة :

- هذا صحيح .

تلفت المقاتل الآخر (ماجد) حوله في توتر، قبل

أن يقول :

- ولكن لماذا نلق جامدين هنا هكذا ؟!

قلها، وتحرك من مكانه، و ...

وفجأة ، انطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، وهو
يترجع إلى حيث كان ، صائحاً في حدة :

- ماذا يحدث ؟

أجابه (رمزي) بكل توتره :

- لو نظر كل منكم حول قدميه ، لرأى دائرة فضية
تحيط به .. ومن الواضح أن هذه الدائرة هي للنطاق ،
الذي يمكننا التحرك فيه ، فإذا ما حاولنا تجاوزه ، تنقضى
علينا تلك الآلام الرهيبة ، التي صرخ من هولها النقيب
(ماجد) .

سألته (مشيرة) في ذهنه :

- هل يعني هذا أننا سنظل واقفين هنا إلى الأبد ؟

قال الدكتور (حجازي) ، في سخرية مريرة :

- لو أن هذا كل ما يفتقك ، فالدائرة تتسع للجلوس
أيضاً .

صاحت به في عصبية :

- كيف يمكنك أن تمرح ، في ظل هذه الظروف ؟
قال في مرارة شديدة :

- وما الذي يمكنني أن أفعله سوى هذا ؟

قالت (سلوى) فجأة في انفعال شديد :

- مهلاً .. هل لاحظتم هذا ؟

التفت إليها الجميع في تساؤل تلقى ، فتابعته في
سرعة :

- أشعة الشمس تتسلل عبر الفتحات العليا للمعبد .

رفع الجميع أبصارهم إلى تلك الفتحات الصغيرة ، التي
تتسلل عبرها أشعة الشمس لذهبية ، وقال (رمزي) :

- رياه ! هذا صحيح .. لقد تجاوزنا مرحلة الإظلام

الشيطاني .

قال الدكتور (حجازي) في لهفة :

- تُرى هل يمرى هذا على الآخرين ؟

سأله الدكتور (رمسيس) في حذر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- أتحدث عن (نور) و(أكرم) .

هلف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- هل تتصور أنهما مازالا على قيد الحياة ؟!

صاحت (سلوى) فى غضب :

- إنهما كذلك بالتأكيد .

أطلق لقب البهطرين ضحكة ساخرة عصبية ،

وهو يقول :

- هذا ما تتمنيته ، وليس ما يعجز عن الوقوع .

صاحت (نشوى) :

- إياك أن تتحدث عن أبى بهذه الانهزامية !

وهتفت (مشيرة) فى غضب :

- ولا عن زوجى .

أطلق الرجل ضحكة أكثر عصبية ، وقال فى عنف :

- يا للسخافة ! تتحدثن كما لو أننا لنناقش التخابث

نأدى هواة جمع الطوايع ! ألم تدركن ما نحن فيه

بالضبط ؟! لقد سقطنا فى قبضة شيطان .. هل تفهمنى ؟!

هل تفهمون جميعاً .. إننا فى قبضة شيطان .. شيطان

يعيث بنا ، كما يعيث اللفظ بالفار ، قبل أن يضم قبضته ،

ويعسقنا جميعاً .

كلماته العذبة المحزنة أيقظتهم من سبات مغلوط ،

على حقيقة رهيبة مخيفة ..

حقيقة أنهم بالفعل فى قبضة شيطان ..

شيطان لا يرحم ..

أبداً ..

وعندما يقولون مسجونين ، وسط تلك النواثر الجهمية ،

فهم يجهلون تماماً المصير الذى ينتظرهم ..

ولكن المستقبل يبدو مظلمًا ..

مظلمًا بحق ..

وفي توتر شديد ، ضمغم المقاتل (ماجد) :

- وماذا لو وثبنا خارج هذه الدائرة ؟!

هتف به (رمزي) في توتر :

- حذار أن تفعل .. نلك فكاهن لا يبعث .. ولا يرحم .

التعد حاجبا (ماجد) ، وهو يقول في عصبية :

- هناك حتمًا وسيلة ما ، لتجاوز هذا الفحص الخفى ..

من المستحيل أن يمتد التأثير إلى مسافة واسعة .

تطلع إليه الجميع في قلق شديد ، في حين قال (رمزي) في توتر أكثر :

- لا تفعل شيئًا .

ولكن المقاتل استنفر قواه كلها ، وهو يقول في حزم يمتزج بعصبيته :

- التجربة هي الوسيلة الوحيدة ، لحسم هذا الأمر

صاح (رمزي) :

- حذار أن تقدم على أية خطوة حمقاء .. قد يقتلك هذا .

بدأ (ماجد) شديد الحزم والصرامة والإصرار ، وهو يتحفز ، قائلًا :

- الموت أهون من الاستسلام لهذا السجن الوهمي المصنوف .

قائلها ، ثم وثب بقتة خارج الدائرة ، فصرخ (رمزي) في ارتياح :

- ي .. ي ..

مع صرخته ، انتفض جسد المقاتل (ماجد) في عنف ، وقطعت من حلقه صرخة لم هائلة ، استرجت بصرخة (رمزي) اللياقسة اللياقسة ..

ولم لم العين للذهالة المذعورة ، سقط (ماجد) أرضًا ، وراح يتلوى بالألم مبرحة ، وصرخات رهيبية ، فصاح به (رمزي) :

- عد يا (ماجد) .. عد إلى الدائرة .. عد ..

كان من الواضح أن المقاتل يعلى آلاماً لا قبل للبشر بها ، فقد زحف بصعوبة بالغة ، وهو يتلوى في عنف ، محاولاً العودة إلى الدائرة الفضية ..

ثم صرخت (نشوى) في رعب ، عندما اشتعلت النيران فجأة في طرف حذائه ، وشهقت (سلوى) ، مع الوهج الذي أتبع من جسده كله ، في حين هتفت (مشيرة) بكل رعب الدنيا :

- يا إلهي .. إله .. إله ..

لمس المقاتل (ماجد) تلك الدائرة الفضية ، قبل أن تنم عبارتها ، وصرخات الألم ، التي تنطلق من حلقه ، تتزايد ، وتتزايد ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران في جسده كله دفعة واحدة ..

وشهق للرجال ..

وصرخت (سلوى) و(نشوى) .

أما (مشيرة) ، فقد تصمت عيناها عن آخرهما ، ثم انهارت فاقدة الوعي ..

كان نصف جسدها بالفعل خارج الدائرة الفضية ، ورأسها يلمس حافتها ، على نحو جعل (سلوى) تقول بدهشة حقيقية :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

هتفت (نشوى) :

- ما الذي يمكن أن يفعله هذا !؟

اتمعد حاجبا الدكتور (حجازي) في شدة ، وهو يتطلع إلى (مشيرة) الفاقدة الوعي ، ولجأها في بطنه ، وكأنما يزن أفكاره وكلماته بدقة :

- لتفسير العنمى المنطقى الوحيد ، هو أن فقدان الوعي يوقف لتأثير القتل لتلك الدوائر الفضية .

قال (رمزي) في انفعال :

- لو أن إيراكنا هو الذي يمنح الدوائر الفضية قوتها ، وتأثيرها المدمر .

قالت (سلوى) في قلق شديد :

- أياً كان السبب ، ماذا سيحدث لو استعملت (مشيرة)
وعينها الآن ، ونصف جسمها خارج الدائرة ؟

تطلع الدكتور (حجازي) و(رمزي) إلى بعضهما
في ارتباك ، وعادا يتطلعان في ذعر إلى (مشيرة) ،
التي بدأت تتعامل في سقطتها ، على نحو يوحى بأنها
قد بدأت في استعادة وعيها بالفعل ..

أما الباقيون ، فقد هوت قلوبهم بين أقدامهم ، وهم
ينقلون أبصارهم في رعب ، بين جسم (مشيرة) ،
وبقايا المقاتل (ماجد) المحترقة ..

فلنتيجة المنتظرة كانت واضحة كالشمس ..

واضحة ومخيفة ..

للغاية .

* * *

٣- المقاتل ..

« إننا نقرب من الهدف .. »

انطلقت العبارة من بين شفتي قائد لطائرة للخاصية ،
من ذلك الطراز الذي يستحيل رصده^(*) ، وهي تحلق
على ارتفاع شاهق للغاية ، فوق أبراش تلك الدولة
الإفريقية ، في طريقها إلى منطقة العدم ، التي تتوقف
في مجالها كل الأجهزة ، وتعدم كل الاتصالات ،
فلتقط (أمجد) داخلها نفساً عميقاً ، وقال في حزم :

- واصل طريقك ، حتى تبلغ الهدف .

كان الطيار يشعر بقلبي حقيقي ، وهو يتجه بطائرته
صدًا ، نحو لخطر منطقة طيران في العالم ، لذا فقد رجع
لجهازه طائرته الأساسية والاحتياطية ، قبل أن يغمره
- على بركة الله .

(*) طائرات غير القابلة للرصد ، هي طائرات ذات تصميم خاص ، يملأ
رصدها بواسطة موجات الرادار ، كما يتم طلائها بطلاء خاص شديد السواد ،
بحيث يمكن كل الضوء والكشف ، دون أن يحس لونه ولونه منها .

لما (أمجد صبحي) نفسه ، فقد راجع أجهزته وحقيبة
مظلمته ، وهو يراجع الخطة التي وضعها بنفسه ، لا يتحلم
تلك الأعراس الرهيبة ، وجمع كل المعلومات الممكنة
عنها ، أو للتدخل عند الحاجة ..

وعلى الرغم من خطورة الموقف ، إلا أنه - وكعادته
منذ زمن طويل - لم يحمل أية أسلحة نارية ، وإنما
اكتفى بخنجر واحد ، وكأنما هو في طريقه إلى
نزهة أو رحلة صيد ، وليس إلى مهمة رهيبة
كهذه ..

ومع اقتراب الطائرة من منطقة العلم ، قال مسئول
القفل في توتر :

- أنت مستعد بإسبادة المستشار ؟

لوما (أمجد) يراسه إيجابيًا ، وهو يقول مبتسمًا :

- (أمجد) أيها المقدم .. الفضل أن تخاطبني باسم
السيد (أمجد) .

مطًا مساعد مسئول القفل شفتيه ، وكأنما يحقنه أن
يبتسم (أمجد) ، وهو في طريقه إلى مهمة كهذه ، في
حين قال للمسئول نفسه في احترام :

- فليكن ياسيد (أمجد) .. ألقنا مبلغ الهدف خلال
دقيقة واحدة ، حسبما تقول الشاشة .

أشار إليه (أمجد) ، قائلًا بلهجة أمرية :

- هيا .. اجلسا على مقعدكما أنت ومساعدك ،
ولحكما رباط حزامي الأمن ، قبل أن نصل .

أطاعه الرجلان على الفور ، في حين اتبعت صوت
قائد الطائرة ، وهو يقول في توتر ملحوظ :

- عشرون ثانية ، وتبلغ منطقة العلم .

لتنطق (أمجد) نفسًا عميقًا ، ثم فتح باب الطائرة ،
فاتنفع للهواء في وجهه بخف ، وهتف به مسئول
القفل على نحو غريزي :

- لعترس ياسيد (أمجد) .

أمسك (أمجد) حلقزًا معنئًا جانبياً داخل الطفرة ،
وهو يقول في حزم :
- اطمئن .

كان الهواء يندفع داخل الطفرة في عنف ، وكل من
بدخلها يضع على وجهه قناعاً خاصاً للترؤد بالأكسجين ،
الذى ينخفض بشدة ، على هذه الارتفاعات الشاهقة ،
والموقف كله متوتر للغاية ، وعلى الرغم من هذا
فقد كانت عينا (أمجد) تتألفان ؛ وشفتاه تحملان
ابتسامة عجيبة ..

لذلك الموقف ، وتلك الظروف ، كانت تعيد إليه
ذكرى قديمة ..

بل ذكريات ..

ذكريات لقتال ، وحرب ، وعمليات المخابرات ، و...

فجأة ، اختل توازن الطفرة ، وتوقفت محركتها ،
وهتف الطيار من كابينة القيادة ، بعد أن توقفت كل
الأجهزة عن العمل :

- نحن فوق منطقة الهدف ..

كثت الطفرة تهوى ، فتشبت مسنول القفل ومساعداه
بمقعديهما على نحو غريزي ، في حين هتف (أمجد) :
- على بركة الله .

ثم وثب من الباب المفتوح ..

ونون ذرة واحدة من التردد ..

ومع قفزته ، جذب الطيار تلك الذراع الإضافية في
كابينة القيادة ، فاشتعل المحرك اليدوي الإضافي ،
ودفع الطفرة إلى الأمام ، وهي ترتج في قوة ، إلى
خارج منطقة النجم ..

وما إن تجاوزت حدودها ، حتى عادت محركاتها
تصل ، ففصل قائدها ذلك المحرك اليدوي ، وعاد
يسيطر عليها ، وهو يتلفس الصعداء ، قائلاً :

- حمداً لله .

وفي نفس اللحظة ، انقضى استعادت فيها الطيارة

توازنها ، وبدأت ترتفع لاستعادة مجال طيرانها
المنشود ، هتف مساعد مسئول القفز فى عصبية :

- هل جازفنا بكل هذا ، من أجل عملية حرقاء ،
يقوم بها كهل واحد ؟!

استدار إليه مسئول القفز فى غضب ، قائلاً :

- كهل واحد ؟! من الواضح أنك من الغفلة والحمقة ،
حتى أنك تجهل تمامًا من هذا الكهل ، الذى نتحدث
عنه بهذا الاستخفاف ..

وارتفع صوته ، وتضاعف غضبه ، وهو يتابع :

- هذا البطل ، الذى قفز أمام عينيك ، دون نرة ولحدة
من التردد ، فى قلب منطقة أجنبية مجهولة ، تخشى
الطائرات نفسها مجرد الاقتراب منها ، هو أفضل رجل
أمن عرفته (مصر) ، خلال نصف قرن من الزمن ،
والرجل الوحيد الذى ارتفعت لذكر اسمه يوماً لأجهزة
مخابرات أقوى دول العالم ، وأخطر منظمات
الجاسوسية ، والمنظمات الإجرامية للعالمية .

اتصت عينا المساعد ، وهو يقول فى انبهار :

- إلى هذا الحد .

حل مسئول القفز حزام مقعده ، وتشبث بحاجز
معنى ، ليجنب باب الطائرة ويغلقه ، قبل أن يجيب :

- وأكثر من هذا .

توقف انفاج الهواء العنيف ، مع إغلاق الباب ، وعاد
الضغط يتواعم داخل الطائرة ، فانتزع مسئول القفز
قناع الأكسجين عن وجهه ، وهو يكمل فى حزم :

- وما دام قد لتحم هذه المعركة ، فثق بأنه سيحدث
فارقاً ..

وتعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة وانكضاب :

- حتماً .

لما (أجد) نفسه ، فقد وثب من الطائرة ، من
هذا الارتفاع الشاهق ، وهو يضع على وجهه قناع
الأكسجين ، وترك جسده ينزلق فى الهواء مستخدماً
كل خبراته ومهاراته القديمة ، وهو يدرس الأحرار
بهصره ، على ضوء الشمس ، التى شارفت للمغرب ..

كانت تبدو مخيفة بحق ، من هذا الارتفاع ..
ولثوان بدت له أشبه بفكي مصلص دماء شرس ،
يستعد بالبلبل الحادة لاقتلاصه ، فور سقوطه بينها ..
ولكن هذا لم يرهبه ..
ولم يفت في عضده ..

كانت السموات الطوال ، التي قتل فيها كضابط
صاعقة ، ثم كضابط عمليات خاصة ، في صفوف
المخابرات العامة ، قد نحتت قلبه من صخر صلب
صلداً^(*) ، حتى إن الموت أو الخطر لم يعد لهما أدنى
تأثير في مشاعره أو قراراته ..

وعند الارتفاع المناسب ، جذب جبل المظلة ، التي
استجابت على الفور ، وانفتحت ، وبدلت عملية
الهبوط الهائلة ..

ومرة أخرى ، بدت له تلك الأحراش ، مع لضواء
الغروب ، رهيبة مخيفة ..

(*) الصلبة : هي قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، لها
قصدية : فهي قدرة المادة على خدش غيرها من المواد الأخرى .

لقد كانت قمع أشجارها تتميل على نحو عجيب ،
وكانها تولجه ريلاً عاصفة ، في حين لم يكن يشعر
من حوله بأية رياح زقدة ..
واقعد حاجباه في شدة ..
تلك الأحراش ليست طبيعية بالتأكيد ..
إنها تنتظره ..

شيء ما في أعماقه يكاد يكون واثقاً من هذا ..
شيء ما ، وغريزة قوية ، جعله يدرك أنه سيواجه
الخطر ، منذ اللحظة الأولى لهبوطه ، في قلب تلك
الأحراش ..

ولكن فجأة ، ودون مقدمات ، أدرك (أمجد صبحي)
أن الخطر لن ينتظر هبوطه في قلب الأحراش الرهيبة ..
هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة في مظلاته ..

والتهمتها في لحظة واحدة ..

وهكذا ، وجد (أمجد) نفسه يهوى نحو الأحراش
القاتلة ..

ومن ارتفاع نصف كيلومتر على الأقل ..
وأمام عينيّه ، تباعدت قمم الأشجار ، وبدأت أشبه
بفكين مخيفين ، يستعدان لالتهامه فور سقوطه ..
وبلا رحمة ..

ما رأيه (نور) و(الكرم) ، في قلب تلك الصحراء
الغامضة ، كان مدهشنا بحق ..

وكما يحدث ، منذ بدأت تلك المهمة ، كان يخالف
كل قواعد العقل والمنطق ..

فهناك ، على بعد كيلومتر واحد تقريباً ، وعلى رتبة
رملية مرتفعة ، كان يقف ذلك المعبد المزدوج شاهقاً ،
تحت ضوء الشمس ..

نعم .. كنا بقلان وسط ظلام دامس ، ولكن أسطوانة
من الضوء كانت تحيط بالمعبد ، وتمتد إلى أعلى ،
على نحو يستحيل معه تحديد مصدرها ..



هذا لأن الميراث قد اشتعلت بفتة في مثلته

وفى ذهول ، تمتع (أكرم) :

- كيف يمكن هذا ؟ كيف لا ينتشر الضوء ليبدد
هذا الظلام الدامس ؟ كيف ؟

نصم (نور) ، وهو يتطلع إلى ذلك المشهد الرهيب
فى توتر شديد :

- كل شيء هنا لا يتبع قواعد الفيزياء التى نعرفها
يا صديقى .

هز (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية
ذاهلة :

- مستحيل ! مستحيل أن يخضع له الضوء ، أو أن
تخضع له قواعد الفيزياء ! مستحيل !

أجابه (نور) فى حزم :

- قواعد الدنيا لا تخضع إلا لله (سبحانه وتعالى)
وحده يا صديقى ، ولكن العلم يكشف كل يوم قواعد
جديدة ، قد تكسر ما كنا ننصّره قاعدة فيزيائية ثابتة ..
الضوء الذى يهبط أمامك ، على شكل أسطوانة

محدودة ، لا تنتشر فيما حولها ، ربما كانت له قواعد
فيزيائية أيضاً ، تماماً مثل أشعة الليزر ، التى تتكثف
فيها طاقة الضوء ، فى شعاع واحد ، والتى كسرت
عند كشفها قاعدة فيزيائية قديمة ، كانت تتصور أن
للضوء تشتت حتماً ..

عاد (أكرم) بهز رأسه ، قللاً فى عصبية أكثر :

- أنت تعلم أننى لا أجيد هذه الأمور المعقدة .

رأت (نور) على كتفه ، قللاً :

- لا عليك يا صديقى .. لا عليك .. سنطرح التفسير
العلمية جانباً مؤقتاً ، ونركز جهودنا كلها على بلوغ
ذلك المعبد ..

تطلع إليه (أكرم) فى دهشة ، قبل أن يسأله فى
توتر :

- وما الذى يمنعا من بلوغه ؟

هز (نور) رأسه ، وهو يتطلع إلى ذلك المعبد ،
قللاً :

- لست أدري يا (أكرم) .. لست أدري يا صديقي ،
ولكنني واثق من أن بلوغي لن يكون بالأمر السهل ..
أبدأ .

لم يستوعب (أكرم) هذا المنطق ، فمطّ شفتيه ،
وأشار بيده إلى ذلك المعبد ، القابع وسط أسطوانة
الضوء المبهّر ، قائلاً :

- (نور) .. تلك الشيء على بعد كيلومتر واحد منا
على الأكثر ، ومهما كانت صعوبة السير على هذه
الرمال ، فسنبلّغه خلال ثلث الساعة على الأكثر^(*) .

مطّ (نور) شفتيه ، وتمتم :

- أتضمّم هذا يا صديقي .. أتضمّم هذا .

وعلا يريّت على كتفه ، مستطرداً :

- هيا بنا .

(*) سرعة الإنسان العادي ، على الأرض الممهدة المنبسطة ، ستة
كيلومترات في الساعة .

بدأ سيرهما فوق الرمال ، في اتجاه ذلك المعبد
للمزدوج الرهيب ، و(نور) يشعر في أعماقه بأن تلك
الرحلة المباشرة لن تكون سهلة أو آمنة ..

لن تكون كذلك أبداً ..

لما (أكرم) ، فقد كان يشعر بتوتر عنيف في أعماقه ،
ويتماحل في كل لحظة عما يقلق (نور) ..

وعما يمكن أن يحدث ..

ففي رأيه ، لم يكن الأمر يتجاوز ثلث الساعة ،
من السير على الرمال ..

ولكن ثلث الساعة مضى ..

وبعده ثلث ثان ..

وثالث ..

السير على الرمال أجهدهما ..

ولكن المعبد ظلّ على نفس المسافة منهما ..

وكنّهما لم يقطعا متراً واحداً ..

وفى عصبية غاضبة ، هتف (أكرم) :

- ما هذا بالضبط ؟

هز (نور) رأسه ، وقال فى توتر :

- خداع بصرى آخر يا صديقى .

هتف (أكرم) :

- أى خداع بصرى هذا ؟ إتنا نسير منذ ساعة كاملة ، ولكننا لا نصل إلى أى شيء .. لقد صعدنا وهبطنا ألف مرتفع رملى ، ولكننا لم نقترب من ذلك المعهد الحقيقى شبراً واحداً .

تظن (نور) طويلاً إلى ذلك المعهد ، وأسطوفاة الضوء التى تحيط به ، قبل أن يقول :

- ربما لأنه ليس هناك .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

- أعنى إتنا نسير منذ ساعة خلف وهم .. سراب .. خداع بصرى .

ثم تلفت حوله ، مستطرداً :

- أنا واثق من أن ذلك المعهد هنا ، فى مكان آخر حولنا .. يختلى وسط الأحراش ، أو فى قلب الظلام .

تلفت (أكرم) حوله بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

- أين يا (نور) ؟ أين ؟ لمست أراه فى أى مكان ، إلا إذا كان هنا ..

وضرب الرمال بقدمه ، مستطرداً :

- تحت هذه الرمال .

قبل حتى أن يكتمل قوله ، ومع ضربة قدمه ، انهارت الرمال من تحته بفتة ..

وبشهقة دهشة مذعورة ، هوى جسده وسطها ..

لقد اتهارث ، كاشفة فجوة سوداء عميقة ..
عميقة .

بلا قرار ..

فجوة نهائى جسده دخلها ، و ...

وفجأة ، ففزت يد (نور) تقبض على معصمه ..

وبحركة غريزية ، التفت أصابع (أكرم) حول
معصم (نور) أيضا ..

وسقط (نور) على وجهه ، وبدت له تلك الفجوة
المظلمة الرهيبة ، التى تغوص وتغوص إلى مدى
البصر ، وانزلق جسده فى بطنه على الرمال ، وهو
يبحث عبثا عما يتشبث به بيسراه ، ويمناه تقبض
على معصم (أكرم) بقوة ، وهذا الأخير يهتف :

- لا .. لا فائدة !

هتف به (نور) وهو يتشبث بأخر أمل ، على
الرغم من انزلاق جسده أكثر وأكثر :

- لا تنقل هذا ..

أفتت (أكرم) أصابعه ، من حول معصم (نور) ،
وهو يهتف :

- اتركنى يا (نور) .. اتركنى قبل أن ينزلق جسديك ،
ونسقط معا .

هتف (نور) فى حزم :

- لا .. لن أتركنى عنك أبدا .

صاح (أكرم) ، وهو يقلم أصابع (نور) ،
التمسكة بمعصمه :

- ألقها يا صديقى ، ألقها .. اتخذ قرار فلك .. لا نتقنا
معا ، بسبب عاطفة سخيفة .. إننا الأمل الأخير للباقين
يا (نور) .. لا تنس هذا .

كان جسد (نور) ينزلق أكثر وأكثر على الرمال ،
ولكنه صرخ بكل الحزم والعزم والإصرار :

- محال .

انتزع (أكرم) مسلمته من حزامه بيسراه ، ورفع
فوهته نحو (نور) صائحًا بكل انفعاله :
- تركنى وإلا ..

قبل أن يكتمل وعيده ، قهارت حافة الرمال فجأة
تحت (نور) فاخترت توازن جسده ، و ...
وهو ..

هوى مع (أكرم) فى تلك الفجوة العصفية ..
العصفية ..
بلا قرار ..

* * *

« (مشيرة) .. لا تستيقظى .. أرجوك .. »

هتكت (سلوى) بالجملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء ،
ودموعها تفرق وجهها ، فى حين راحت (مشيرة)
تتململ فى رقبتها ، على نحو يوحى بأنها على وشك
استعادة وعيها ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياح :

- لا يمكن أن نتركها هكذا .. لو استعادت وعيها ،
وجسدها خارج الدائرة الفضية ، ستحترق كشعلة لهب ،
كما حدث لهذا المقاتل المسكين .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر بالغ :
- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

صاح الدكتور (عبادة) فى الهيار :
- ليس هناك ما نفعه .. ليس لدينا ما يمكن أن نفعه ..
لقد انتهى أمرنا جميعًا .. انتهى تمامًا ،
صرخت فيه (نشوى) :

- اصمت أرجوك .. اصمت .. لم أعد أحتمل كلماتك ..
اصمت .

ارتفع صوت (رمزى) فوق صرختها ، وهو يصرخ
بدوره :

- اصمتوا جميعًا .

صرخته الهلرة جعلتهم يظفون لقواهم ، وبتفتون
إليه بحركة واحدة ، فاتخذ حليباه ، وهو يتطلع إلى
(مشيرة) ، قائلا :

- الإيحاء .

سألته (سلوى) فى خفوت حذر :

- ماذا تعنى ١٩

أجابها فى سرعة وحزم :

- (مشيرة) الآن فى تلك المنطقة ، بين الغيبوبة
والوعى ، وفى تلك المنطقة يصبح عقلها مستيقظا
بدرجة تكفى لإدراك المؤثرات الخارجية ، ولكن ليس
إلى درجة تفنيدها ، واتخاذ القرار المناسب بشأنها ،
وهذا يعنى أنها ستطيع كل ما تسمعه فى آلية ، لو تم
توجيهه إليها بالأسلوب المناسب .

غمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- لم أفهم بعد .

قال (رمزى) فى صرامة :

- استموا جميعا إذن ، ولحبسوا أنفاسكم لو اقتضى
الأمر .

أطاعه الكل دون مناقشة ، فاتخذ حليباه بشدة ، وهو
يتطلع إلى (مشيرة) مباشرة ، وبدأ صوته عبقيا ،
وكأنما يأتى من أغوار صحبة ، وهو يقول :

- عودى إلى الدائرة الغضبية يا (مشيرة) .. عودى
ولجسى دخلها تملأ .

تململت (مشيرة) فى رقتها ، وكأنما سمعت
ما قلته ، فكرر بعق أكثر :

- عودى يا (مشيرة) .

تململت (مشيرة) أكثر ، وضمت ركبتيها إلى
صدرها ، فى وضع جنينى ، وهى تتلوّه فى خفوت ،
فكرر (رمزى) :

- عودى إلى الدائرة يا (مشيرة) .

لثوان ، خَيَّلَ إليهم أنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما
قاله (رمزى) ..

ثم فجأة ، زحفت بجسدها ، وضمت ساقها ، لتصبح
كلها داخل الدائرة الفضية ..

وفى حركة آلية عجيبة ، اعتلت جللسة ،
وغضمت :

- ماذا حدث ؟!

كادت (سلوى) تهتف بعبارة ما ، ولكن (رمزى)
استوقفها بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول ،
بنفس الصوت الصيق :

- لقد انتهى الأمر .. افتحى عينيك .. لقد انتهى
الخطر .

فتحت (مشيرة) عينيهما فى بطء ، وحققت فيما
حولها ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، وهى تهتف :

- رياه ؟ هل ..

قاطعها (رمزى) فى سرعة :

- كل شيء على مايرام يا (مشيرة) .. لقد زال
الخطر .

حققت فيه بدهشة ، ثم عادت تحديق فى الآخرين ،
قبل أن تهتف :

- أى خطر .. كل شيء مازال على ما هو عليه .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- هذا لفضل ما يمكن أن نأمله .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى تلاشى ضوء الشمس ،
الذى يمثل عبر فتحات المقر ، واتسحب فى سرعة ،
ليحل محله ذلك الظلام المخيف ، فصرخ الدكتور
(عبدة) :

- ماذا سيحدث ؟! ماذا سيحدث ؟!

مع آخر حروف صرخته دوت فرقة مكتومة فى
المكان ، وانبعثت أبخرة كثيفة من ذلك الوعاء
النحاسى الكبير ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الكاهن الرهيب ..

ظهر خلف القوعاء النحاسي ، مع ثلاثى الأبخرة ،
وهو يتطلع إلى الجميع بنظرة نارية شيطانية ،
وحشية ..

نظرة ارتجفت لها قلوبهم ، وتجمدت لها الدماء فى
عروقهم ، واختفت معها الكلمات ، وحتى للصرخات ،
فى حلوقهم ..

ولديقة كاملة ، ظل الكل صامتا مبهورا ، وكلهم
يتطلعون إلى الكاهن ، الذى ظل ساكنا كتمثال من
الرخام ، وعيناه تتلقتان بذاك الطريق المخيف ، قبل أن
يستدير فجأة بحركة حادة ، إلى الصندوق الزجاجي ،
الذى يحوى أصبع الشيطان ، ثم رفع ذراعيه إلى
أعلى بحركة مباغتة ..

ومع حركته ، شعر لكل فجأة بالآلام رهيبة فى
رعوسهم ..

آلام جعلتهم يطلقون صرخات قوية ، وهم بمسكون
رعوسهم فى عنف ، و ...

وفجأة ، خفض الكاهن ذراعيه ..

وتلاشت الآلام كلها دفعة واحدة ..

ثم استدار الكاهن إليهم ، بنفس النظرة الرهيبة ..

المخيفة ..

الوحشية ..

وعاد إليهم ذلك للصمت الرهيب المهييب ..

وشعر (رمزى) بخيط من الدم ، يسيل من أنفه ،
وشاهد رفاته كلهم يعانون الشيء نفسه ..

وقبل حتى أن يمسح خيط الدم ، انحنى الكاهن يلتقط
تلك الجمجمة غير البشرية ..

واتسعت عيناه الدكتور (عبادة) فى ارتياح ، وهو
يستعيد ذكرى خبرته السابقة مع تلك الجمجمة ..

وانعقد حاجبا الكتور (حجازى) فى شدة ، للسبب
نفسه .

وبقعة ، تطلق من تلك الجمجمة شعاع قوى ، مطع
فى وجوه الكل ، كالف ألف مصباح من مصابيح
التصوير ..

ومع الضوء القوى ، أغلق الكل عيونهم بشدة ..
وعندما عادوا يفتحونها ، اتسعت عن آخرها فى
ذهول ..

فقد تلاشى المعبد كله من حولهم ..

تلاشى بجدراته ، ونقوشه ، ومنبجه ..

وأحاط بهم ظلام مخيف ..

ظلام بدا وكأنه انعم نفسه ..

إلا من بقعة واحدة ..

بقعة جعلت قلب (نشوى) يرتجف بين ضلوعها فى

عنف ، وجعل (سلوى) تطلق صرخة رعب قوية ، فى
حين تسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تصرخ :

- لا .. ليس (أكرم) .. ليس (أكرم) -

ففى تلك البقعة المضئنة ، كان (نور) و(أكرم)
يواجهان أمرا رهيبا ..

رهيبا إلى أقصى حد .



٤- خيوط العنكبوت ..

فجأة ، وجد (أمجد صبحي) نفسه بهوى من خلق ،
لحو تلك الأحراش الرهيبة ، بعد أن احترقت مظلته دفعة
ولحدة دون مقدمات ..

كان موقفاً رهيباً بحق ، وخاصة مع غروب الشمس ،
الذى يلقي ظلالاً مخيفة على كل شيء ، والذى يجعل
تلك الأحراش تبدو وكأنها وحش مفترس ، يفتح فكيه
عن آخرهما لانتهامه بلا رحمة ..

ولقد راح جسده بهوى ..

وبهوى ..

وبهوى ..

ولكن نزة ولحدة فى جسد (أمجد) لم تشعر
بالخوف أو الفزع ..

فحركة سريعة ، جذب حبلاً رفيعاً فى حزام حقيبه
المظلة ، فاتفصلت البقية الباقية من أحبال مظلتها
المحترقة ، وطارت بعيداً ، فى حين جذب هو حبل
المظلة الإضافية الأخرى^(*) ..

وعلى الرغم من أن المظلة الاحتياطية قد استجابت
بنجاح ، إلا أن المسافة التى تفصل جسده عن الأرض ،
كانت أقل من أن تسمح لها بالعمل بكفاءة ، لذا فقد
تخففت سرعة هبوطه كثيراً ..

ولكن ليس بالدرجة الكافية ..

وبمضى من العنف ، ارتطم جسده بقمم الأشجار ،
لغوى ركبتيه إلى صدره ، ورفع ذراعيه ليحمى وجهه ،
وجسده بهوى مرتبطاً بالأغصان القوية ، والأفرع
السميكة ، التى تحطمت مع ثقله ، وإن ساعدت فى
توقيته ذقنه على تخفيف سرعة وعلف هبوطه ..

حتى ارتطم أخيراً بالأرض ..

(*) منذ تولد للشقايت ، وبعد تزايد حوادث القفز فى فتح مظلات
الهبوط ، تكرر تصميم وضع مظلتين فى حيازة القفز ، بدلاً من واحدة ، بحيث يتم
حل المظلة التى تعرضت للخلل ، واستخدام الاحتياطية عند الخطر .

ولثوان ، ترك جسده سلكاً ، على الأرضية الرطبة ،
التي تكتسوها طبقة كثيفة من الأوراق الجافة ، وكل
ذرة في كياته تصرخ بالآلم ، قبل أن يغتم :
- ياله من هبوط :

وكما لو أن عبارته قد انتزعت كل آلامه ، هباً وانقاً
على قميمه في نشاط عجيب ، ثم تلفت حوله ، وهو يحمل
حقيقة المظلة ، التي تمرقت بغلف مع الهبوط ،
وألغاه أرضاً متمتماً :

- عجباً ! أي ظلام دامس هذا ؟ هل يمكن أن تحجب
تلك الأشجار الضوء إلى هذا الحد ؟

رفع رأسه إلى أعلى ، وبداله ذلك الظلام الرهيب ،
الذي يبدو من بين قمم الأشجار غير طبيعي على الإطلاق ،
فالتقط نفساً عميقاً ، وهو يشعل مصباحه اليدوي ،
مغمضاً :

- آه .. يبدو أن الموجهات الشيطانية قد بدت بالفعل
يا (أمجد) . فليكن .. إنني هنا بالفعل ، ولا ينبغي أن
أضيع لحظة واحدة .

أدرك ضوء مصباحه اليدوي فيما حوله في بطم ،
ليستكشف ما يحيط به ، قبل أن يبدأ خطوته الأولى ..
كثت الأشجار الضخمة تحيط به من كل صوب ،
ولا تترك سوى ممر واحد فحسب للخروج ..

ولثوان ، قحص ذلك الممر ، على ضوء مصباحه
اليدوي ، قبل أن يتمتم :

- اتجاه إجباري .. يبدو أن الأمور تسير هنا على
نحو لا يرهق المرء طويلاً في الاختيار ..
« (أمجد) .. »

اتبع اسمها بهقة ، من بين الأشجار المحيطة به ،
فاستدار إلى مصدره بحركة حادة ، هاتفاً :
- من هنا ؟

ضوء مصباحه لم يكشف أمامه سوى جدوع
الأشجار الضخمة وأغصانها الكثيفة ، ذلت الأوراق
لعريضة ..

« (أمجد) .. »

مرة أخرى ، سمع اسمه يتردد ، بذلك الصوت
الخافت الهادئ فاستدار ثانية إلى مصدره ..

ولم تكن هناك سوى الأشجار ، والأغصان ،
والأوراق ..

وفي صرامة ، لا تنقصها العصبية ، هتف (أمجد) :

- أي صبيث شيطاني هذا ؟!

« إنه أنا ؟! »

جاء الصوت من خلفه هذه المرة ، فاعتقد حاجباه
في شدة ، وهو يدور على عقبه ، ويلقي ضوء
مصابحه على الأشجار ، هاتفا بتوتر بالغ :

- مستحيل !

لقد ميز الصوت جيّداً هذه المرة ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل أن يكون صوته !!

صوت (حامد) .. زميله السابق ، الذي قضى
نحبه يوماً ، في لقاء صراعهما للعنيف مع منظمة
(المافيا) ..

مستحيل !

« هنا لا يوجد مستحيل يا صديقي !! »

فتلصص جسد (أمجد) في غف ، مع العبارة الواضحة
التمييزة هذه المرة ، والتي اتبعثت من بين الأشجار
المواجهة له تماماً ، والتي يسقط عليها ضوء
مصابحه اللينوى مباشرة ..

إنه صوته ..

لا يمكن أن يخطئه ..

صوت (حامد) ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

« هل نسيت؟! إنك تقف على أرض الأرواح الخالدة »

اتعقد حاجباه في شدة ، والصوت يقترب ..

ويقترّب ..

ويقترّب ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ، عندما سقط ضوء مصباحه على ذلك الجسد ، الذي شق طريقه بين الأغصان والأوراق المتشابكة ، وتجاوزها في هدوء عجيب ..

الجسد الذي ما زالت جبهته تحمل ثقباً دموياً ، في منتصفها تماماً .

جسد (حامد) ..

زميل مهنته وصديقه ..

السابق ..

* * *

هو جسد (نور) و(أكرم) داخل تلك الفجوة
الرهيبية ..

وهو ..

وهو ..

ثم فجأة ، ارتطم بذلك الشيء المرن اللزج ..

شيء للتصق به جسدهما في قوة ، وراها يهتز
في تناغم مخيف ، جعل (أكرم) يهتف :

- ما هذا بالضبط ؟

بذل (نور) جهداً مستميتاً ، في محاولة بالسة
لتخليص ذراعه ، من ذلك الشيء ، وهو يقول :

- لست أدرى بالضبط .. إنها خيوط مرنة لزجة ،
تحوي مادة لاصقة قوية .

ثم تعقد حاجباه في توتر بالغ ، وهو يضيف :

- أخشى أن ..

قبل أن يتم عبارته ، راحت تلك الخيوط تهتز على
نحو منتظم ، فزاد اعتقاد حلجبيه في توتر بلغ منتهاه ،
ورسم عقله صورة مخيفة لكائن رهيب ، يتجه نحوهما
مباشرة ، في حين هتف (أكرم) في عصبية :

- شيء ما يسير على تلك الخيوط يا (نور) ..
شيء يتجه نحونا ..

وسرت في جسده قشعريرة باردة ، وهو يكمل :

- هذا يذكرني بفيلم قديم من أفلام الرعب ، و ...

وفجأة ، وقبل أن تكتمل عبارته ، أضى كل ما يحيط
بهما بقعة ، بضوء خافت متراقص ، أشبه بضوء
الذئبان ..

وعلى ذلك الضوء الخافت ، رأيا الكثير ..

الكثير جداً ..

فمن حولهما ، وفوق ما بدا وكأنه لعدم كل
رفاقهما يحيطون بهما ، وكل منهم يقف فوق دائرة
فضية متألقة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منهم ، كان يقف ذلك
الكائن ، وهو يمسك بالجمجمة غير البشرية ، التي
تتألق عيناها على نحو عجيب ..

وخلفه مباشرة ، كان يستقر إصبع الشيطان ، داخل
صندوقه للزجاجى البدهلى .. وكان لوضاً يتألق ..

وربما أكثر من أى شيء آخر ..

ولكن ما رأياه ، وجعل كل ذرة من كبريهما ترتجف
بغف ، لم يكن كل هذا ..

لقد كان ذلك الشيء الذى يسير على تلك الخيوط
للزجة ، لتسى يلتصقان بها ، والذى يتجه نحوهما
مباشرة ..

العنكبوت ..

فتلك الخيوط للزجة كانت خيوط عنكبوت هائل الحجم ،
أشبه بسيارة كبيرة ، وهو يتجه نحوهما بأقدامه
لثمن ، وعيونه الست ، وشرائحه لتسى تنفعه لالتهام
فرائسه اللتان ..



مشهد المنكوب الضخم وهو يتجه في شرفه نحو (نور) و(أكرم)

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا ..

وهتفت (مشيرة) في رعب :

- لماذا ؟! لماذا (أكرم) .. لماذا ؟!

أما (نشوى) ، فقد صاحت في الكاهن :

- لماذا تعذبنا ؟! لماذا تربنا هذا ؟!

وفي ارتباك ، تطلع القبطون إلى ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد المنكوب الضخم ، وهو يتجه في شراة نحو
(نور) و(أكرم) ، والأخير يقول في عصبية :

- أهذا خداع بصرى أيضا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) في توتر شديد :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة للأسف .

هتف في حنى ، والمنكوب الضخم يتجه نحوه
مباشرة :

- ولماذا هذا بالذات حقيقة .

اتسعت عيون النمل في رعب ، وشهقت (مشيرة)
شهقة كادت تذهب روحها ، وهي تحلق معهم في تلك
العكبوت المخيف ، وهو يتوقف عند (أكرم) ، ويتطلع
إليه لحظة يعينه الست ، قبل أن يرفع إبرته للسلامة
الضخمة ، ليهوى بها على جمده ..

وانهارت (مشيرة) ..
تماماً ..

سرى توتر عنيف في جسد (أمجد) ، وهو يحلق في
الجسد الواقف أمامه ، وقد التقى حاجباه في شدة ..

إنه (حامد) ..

تماماً كما رآه أول مرة ، عندما لقي مصرعه ..

إنه لم يلبس تلك الثقب الدامى ، في منتصف جبهته ..

لم يلبسه أبداً ..

الثقب الذى من أجله ، شن حرباً شعواء على
منظمة (المفيا) كلها ..

حرباً بلا رحمة أو هوادة ..

« هل تسميتى يا (أمجد) ؟! »

نطق (حامد) العبارة بصوته ، الذى لم ينس (أمجد)
نبراته قط ، على الرغم من مرور كل هذه السنوات
للطوال ..

والتقى حاجبا (أمجد) أكثر ..

إنه رجل مخبرات سابق ، اعتاد التعامل مع
الحقائق ..

الحقائق وحدها ..

وما يراه أمامه لا يمكن أن يكون حقيقة ..

لقد مات (حامد) منذ ما يزيد على ربع قرن ..

والموتى لا يعوبون إلى الحياة ، إلا فى يوم البعث ،
الذى لا يطعمه إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ما من قوة أخرى ، فى الكون كله ، يمكن أن تعيد
للموتى ..

مهما كفت ..

« هذه الأرض تختلف عن أية أرض أخرى .. »

ابتسم (حامد) ، وهو ينطق للعبارة ، وكثما قرأ
الفكر (أمجد) ، الذي قال في خشونة عصبية :

- كل الأرض لله (عز وجل) .

تابع (حامد) ، وكأنه لم يسمعه :

- هنا تحيا الأرواح إلى الأبد .

أجابه في صرامة :

- هرام .

ابتسم (حامد) مرة أخرى ، وهو يقول :

- ألا تصدقني يا (أمجد) ؟

هز (أمجد) رأسه في حزم ، قللاً :

- لا يمكنني هذا .

صمت (حامد) بضع لحظات ، قبل أن يقول بصوت
هادئ :

- اقرب يا (أمجد) .

تطلع إليه (أمجد) في حذر زائد ، قمد إليه يديه ،
مكرراً :

- اقرب يا (أمجد) .. اقرب .

تحركت عين (أمجد) في سرعة ، وهما ترصدان
كل ماحول (حامد) ، الذي كرر بصوت عميق :

- اقرب .. اقرب ..

لانت ملامح (أمجد) فجأة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لقد اشتقت إليك كثيراً يا صديقي .

قلها ، واتجه نحوه مباشرة ، حتى صار على قيد
مترين فحصب منه ، و...

وفجأة كثرت تلك الأشياء عن أنياب حادة مخيفة ،
وتطلعت من حلقه صرخة وحشية عجيبة ، تشبه
حفيف ألف ورقة شجر ضخمة ..

ثم كانت تلك الانقضاضة ..

الانقباضة الناجحة ، التي قضت على الخصم
تماماً ..

وبضربة واحدة ..

★ ★ ★

فجأة ، تذكر (نور) أمراً مهماً ..

وفي هذه اللحظة الحرجة بالذات ، نستطيع أن نقول :
إنه ليس مهماً فحسب ، بل هو أمر يفصل بين الموت
والحياة ..

وبكل الفعالة ، صاح :

- مسدسك يا (أكرم) ..

في تلك اللحظة فحسب ، انتبه (أكرم) أيضاً إلى
الأمر ذاته ..

لقد اقتزع مسدسه من حزامه ، عندما كان يحاول
منع (نور) من الإمساك به ..

ثم هويها معاً ..

وطوال الوقت ، لم يفلت مسدسه قط ..

لذا فقد بقيت أصابعه ممسكة بمقبضه ..

حتى عندما ارتطما بخيوط العنكبوت ..

والتصلا بها ..

ومع صرخة (نور) ، انتبهت أصابعه إلى
ما تمسك به ..

ويرد فعل مذهش ، وعلى الرغم من استحالة تحريك
ذراعه ، أمال (أكرم) معصم يده الممسكة بالمسدس ،
على نحو يث في ذراعه كلها آلاماً رهيبية ، وهو
يهتف :

- هيا .. انقسم أيها الوغد .

ومع هتافه ، ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

أربع رصاصات متتالية ، نسفت ثلاث منها رأس
العنكبوت الضخم ، الذي ارتفعت ست من قوائمه

الثمان ، وجسمه يرتجف فى عنف ، قبل أن يسقط
جثة هامدة ، فوق خيوطه اللزجة ..

وبكل سعادة الدنيا ، صرخت (مشيرة) :

- لقد فعلتها .. فعلتها مرة أخرى يا (أكرم) ..

مع صرختها ، حدث أمر عجيب ..

عجيب للغاية ..

لقد ذاب جسد تلك العنكبوت الضخم ، وتحول إلى
مادة هلامية حمراء ، لم تكد تسيل فوق خيوطه ، حتى
ذابت بدورها ، وتحولت إلى المادة نفسها ، ليتحرر
(نور) و (أكرم) دفعة واحدة ..

وفى توتر بالغ ، غصم الدكتور (حجازى) :

- أبلزما ..

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف :

- بلزما ١٢ مستحيل !

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، والتى
تنفع فيها (أكرم) ، متصوراً أنه يستطيع تحرير زوجته
ورفقه ، رفع الكاهن الرهيب تلك الجمجمة غير البشرية
مرة أخرى ، وسطح الضوء المبهى فى وجوه الجميع ..
ثم اختفى كل شيء دفعة واحدة ..

وفى لمحة بصر ، وجد (نور) و (أكرم) نفسيهما
فى ظلام دلمس ، فهتف الأخير فى غضب :

- لقد ذهبوا .. تلك الكاهن الحقيق .. القنر .. إل ..

قلاطعه (نور) ، وهو يضرم مصباحه اليدوى ،
ليكشف ما حوله :

- لن يفيد هذا ..

لَوْح (أكرم) بنزاعه ، صلتحاً :

- لقد كانوا هنا ، منذ لحظة واحدة ..

هَزَّ (نور) رأسه ، قاتلاً فى حزم صارم ..

- إلهم لم يكونوا هنا أبداً ..

تفجر الغضب من كل خلية في كيان (أكرم) ، وهو
يهتف في سخط :

- العنكبوت كان هنا ، وهم ليسوا هنا .. شلال
النار وهم ، والأشجار الحية ليست وهنا .. لقد
سلمت كل هذا .. لم أعد أرى ما ألهم وما الحقيقة !
ما الذي هنا ، وماذا ليس هنا ؟! لم أعد أعرف حتى
أين نحن ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وكثما يفكر في عبارة
(أكرم) جيدًا ، قبل أن يقول في بضع عجب :

- سؤال جيد يا صديقي .. أين نحن ؟!

سؤال (نور) أزال الكثير من غضب (أكرم) ،
وحوَّله في لحظة إلى حالة من الحيرة والتوتر ، وهو
يتابع ضوء مصباح (نور) ، ثم يضيف إليه ضوء
مصباحه ، الذي أداره فيما حوله ، قبل أن يهتف بكل
الدهشة والتوتر :

- نحن في عالمنا يا (نور) ؟! إننا نسيح تقريبًا في
الفراغ .. نحن ونلك السائل الأحمر الهلامي ، الذي كان
عنكبوتًا مخيفًا منذ قليل .. كيف يمكن هذا ؟!

لجابه (نور) في حزم :

- هذا غير ممكن على الإطلاق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في صرامة :

- في عالمنا .

هتف (أكرم) في صهيبة :

إن نحن في عالم آخر .

لم يجب (نور) سؤاله ، وهو يدير مصباحه
للينوي مرة أخرى فيما حوله ..

كن الفراغ يحيط بهما بالفعل ، في كل اتجاه ..

حولهما ..

وأعلاهما ..

وحتى أسفلهما ..

وضوء مصليهما اليدويين ، كان ينطلق إلى
أقصى مدى في كل اتجاه ..

بلا استثناء ..

وفي عصبية بالغة ، كرز (كرم) :

- أنحن في عالم آخر يا (نور) ؟

مرة أخرى ، لم يجب (نور) ..

لقد غرق عقله في تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

تفكير للتهب معه مخه ، وهو يبحث عن تفسير
لما يحدث ..

أي تفسير ..

تفسير منطقي ..

أو حتى شيطاني ..

ولكن كل شيء كان يسير بلا قواعد ..
مجرد عبث ..

عبث شيطاني بمشاعرهم ، وعقولهم ..

وحتى بالجسادهم ..

ولكن لا ...

حتى للعبث له قواعد ..

ربما تختلف عن قواعد العقل والمنطق ..

ولكنها قواعد ..

كل ما عليه هو أن ينفذ عن رأسه كل ما اعتاده
وأفله من قواعد العلم والعقل والمنطق .

ولأن يملأه بقواعد جديدة ..

قواعد تتفق مع كل ما مرّ بهم ، منذ بدأت هذه
العملية المخيفة ..

وقى خفوت ، بلغت عصبية مداها ، تمت
(أكرم) :

- (نور) .. هل تسمعني ؟

اعتدل (نور) فجأة ، وهو يقول فى حزم :
- بالتاكيد .

سأله (أكرم) فى حيرة عصبية :

- بالتاكيد ماذا ؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يدير رأسه فيما حوّه ،
هاتفاً :

- لا داعى لكل هذا .. نحن نعلم أننا هنا .

أدار (أكرم) ضوء مصباحه فى وجه (نور) وكأما
يتأكد من ملامحه ، قبل أن يسأله فى قلق :

- ماذا تقول يا (نور) ؟

تجاهله (نور) تماما ، وهو بهتف :

- إننا نعرف أين نحن ، وكل ما نفعله لاقية له .

هتف به (أكرم) مذعورا :

- (نور) ؟ ماذا أصابك ؟

استدار إليه (نور) بحركة حادة ، وأمسك كتفيه
فى قوة ، وهو بهتف به فى حزم :

- إننى أعرف أين نحن يا (أكرم) .. أعرف أين
نحن .

حنى (أكرم) فى وجهه ، بكل دهشة الدنيا ، وهو
يقول فى حيرة شديدة :

- وأين نحن يا (نور) ؟

تلثت عينا (نور) ، وهو بهتف :

- فى المكان الذى نسعى إليه طوال الوقت يا (أكرم) .

وتلثت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول فى انفعال
جارف :

- فى المعبد .

لم يكد ينطقها ، حتى تلاشى الظلام من حولهما
بفئة ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

فما حدث كان مذهلاً ورهيباً ..

بلا حدود .

* * *



٥ - معبد الشر ..

فجأة ، جاءت تلك الانقباضة القوية ..

ذلك المخلوق ، الذي تقمص هيئة (حامد) ، زميل
(أمجد) القديم للرجل ، منتزعاً إياها من أصق أصاق
عقل (أمجد) نفسه ، كثر عن أبواب حلاة رهيبة ،
وجسده يستعيد منشأه النباتي ، وأطلق تلك الصرخة
للقوية المخيفة ، و...

وقبل أن يتحرك ، انقبض عليه (أمجد) كالقهد
انقباضة قوية مباغثة ، وهو يستل خنجره ، وسلاحه
الوحيد ، من حزامه ، هاتفاً في لهجة عجيبة ، تجمع
بين الصرامة والسخرية :

- كان ينبغي أن تخفى أطرافك أيها الوغد .

وفي مرونة مذهشة ، لا تتناسب سنه قط ، تقلد ضربة

قائلة ، من مخلب ذلك المخلوق ، ثم هبط خلفه ، وهوى
على ذلك الفرع الأخضر ، فذى يمتد من ظهره بخجره ..

وبضربة واحدة قوية ، بتر (لمجد) ذلك الفرع
الأخضر ..

وهنا ، أطلق ذلك المخلوق صرخة أخرى رهيبة ..
ثم سقط أرضاً ..

وكتعبان يختصر ، تراجعت بقايا ذلك الفرع الأخضر ،
وسط الأشجار والأغصان الممتشكة ، وهي تنزف سقلاً
أخضر ، فى حين راح ذلك المخلوق يتلوّى ، وهو
يتحوّل بسرعة إلى ما يشبه جذع شجرة قديماً متهاكاً ..

وما هي إلا لحظات ، حتى همدت حركته تماماً ، و ...
وذبل ..

تماماً كورقة شجر ، فى موسم الخريف ..

ذبل ، واصفر ، وتهشم ، وهو ينزف من ظهره نفس
السائل الأخضر للزج ..

وفى حزم ونشاط ، نهض (لمجد) ، مغمغماً :

يا لها من بداية !

تطّلع إلى ذلك السائل الأخضر اللزج على نصل خنجره ،
ثم النقط من جيبه قطعة من القماش ، مسح بها السائل ،
ثم ألقا ضوء مصباحه اليدوى ، قبل أن يتنهّد ، قائلاً :

- كما توقّعت تماماً .. سائل فسفورى .

عاد بضوء مصباحه ، ويتلفّت حوله ، مستطرذا :

- لنا لقب إذن وسط أحراش فسفورية ، نتعامل معه
نباقتها باعتبارى فريسة ، لا بد أن نستخدم معها كل
وسائل للتنمية والخداع لاحتصاصها .

عاد يدير مصباحه اليدوى ، نحو الممر الوحيد بين
الأشجار ، قبل أن يضيف فى حزم وهو يتجه نحوه :

- كما قلت من قبل .. كل شيء هنا إجبارى .

وغاص وسط ذلك الممر ، وهو يتوقّع لضربة القلعة ..
وفى لية لحظة ..

* * *

ترجع الدكتور (جلال) في مقدمه ، أمام شلثة الرصد
الكبرى ، وصرى التوتر فى جسده كله ، ولحد العناء يقول :
- مع هبوط السيد (أمجد) ، وسط تلك الأحرش ،
تضاعف الاتبعات الحيوى الصابر منها ، والتعبية
بعمليات الهضم .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل ستهضمه أيضاً ، كما فعلت مع الباقين ؟
قال عالم آخر فى حزم :

- ليس هناك دليل واحد على مصرعهم .

أجاب الدكتور (جلال) ، فى عصبية أكثر :

- وليس هناك دليل واحد ، على وجودهم على قيد
الحياة .

غمغم العالم الأول :

- فلننظر إلى الجانب المشرق على الأقل .

تهدد الدكتور (جلال) ، مغمضاً :

- إننى أحاول .

ثم هتف بقعة فى عصبية ، وهو يلوح بيده نحو
الغاشية :

- ولكن كل شيء يدفعنى نحو الجانب المظلم .

اندفع عالم ثالث ، يقول :

- ليس فى هذا الحد ياستدئى ؛ فى كل دقيقة تمضى ،
تزداد معلوماتنا عن تلك المنطقة ، والكمبيوتر يقوم
بتحليل تلك مقطوعات أولاً فلولاً ، وقبيل منتصف الليل ..
أى بعد خمس ساعات على الأكثر ، ستكون لدينا مقطوعات
مناسبة ، ربما تكفى لمعرفة هويتها ، أو حتى استنباط
طبيعتها .

زفر الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم :

خمس ساعات ؟

وهز رأسه فى رأس ، ثم تساعل فى خفوت :

- ألا توجد ولو مقطوعة واحدة جديدة ؟

هتف أحدهم ، وهو يضبط زرر الكمبيوتر فى سرعة :

- بالتأكيد .

وراجع بسرعة مظهر على الشاشة ، قبل أن
يستطرد في تفعل :

- أشجار ونباتات تلك الأحرش لمكن قوامها بمقياس
الطيف (ميكروسكوب) .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، وقامت عيناه ،
وهو يهتف :

- مستحيل ! الخلايا الحية لا يمكن تحديدها بمقياس
الطيف التقليدي .

أجابه العالم في حماسة :

- مقياس الطيف الحديثة يمكنها هذا ، ولقد استخدمنا
أحدثها لرصد تلك الأحرش ، وجاعت النتائج مذهلة .

شار الدكتور (جلال) مقعده ، وتجه إليه ، متسائلاً
في لهفة :

- وما هي ؟

أشار الرجل إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيباً في حماسة
أكثر :

- وفقاً لمقياس الطيف ، تتكوّن تلك الأحرش ..
أو الأجزاء الظاهرة منها على الأكل ، من مزيج من
الفسفور (*) والبلازما (**).

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

- مستحيل ! معامل الأرض كلها لا تحوى هذه الكمية
الهائلة من (البلازما) ، كما أنه من المستحيل أن
يتواجد الفسفور هكذا في الطبيعة .

أضاف عالم آخر في حزم :

(*) الفسفور . عنصر يقع في الصف الخامس . من الجدول الدوري ،
يتفاعل بطف ، عند ملامسته للماء أو الأكسجين ، وعند تعريضه للهواء فإنه
يتفجر مشتعل على الفور ، لذا يجب الاحتفاظ به يوماً مشهوراً في سماء
أو الزيت . وهو عنصر نشط . يتحد بسرعة مع العناصر الأخرى ،
ولا يوجد أبداً بحالة نقية في الطبيعة .

(**) (البلازما) : نيت كان المصطلح يعنى بلازما الدم ، التي
تتكوّن في 2% منها من الدم ، وأخيراً استخدم المصطلح (بلازما) .
على نطاق واسع . لتعنى منطقة من شحنة غازية ، تحتوى على أعداد
متساوية تقريباً ، من الأيونات الموجبة والإلكترونات ، ولقد أمكن
تخليقها ، بمفهومها الجديد ، على نحو صناعي في المعمل .

- وأى نيكات في الوجود لا يمكنه أن يحيا ، في تركيبة عجيبة كهذه .

قلل العالم الأول في سرعة :

- تتحدث عن التنباتات الطبيعية المعروفة علميا ، لا عن تلك الأحراش ، التي اعتادت هضم البشر .

هاتف الدكتور (جلال) :

- مهلاً .. ما تقولونه ربما يعطي مفهوماً جديداً ، لهذا الانبعاث الحراري الحيوي .. ألا يحتمل أنه ينشأ من احتراق منتظم للسفوف ، في قلب تلك الأحراش ؟؟

تباهل العلماء نظرة دهشة ، تحمل الكثير من الخجل ، لأنهم لم يتوصفوا إلى هذا للتفسير البسيط ، وتنفع أحدهم يقول :

- هذا لو أنه هناك طريقة لتنظيم احتراقه .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشائشة ، وهو يقول في الفعل :

- ربما هو أحد نتائج تنفس تلك التنباتات العجيبة ..
أو حتى ناتج لإحدى عمليات التمثيل الضوئي^(*) ،
أو ما يشبهها هناك .

هاتف عالم آخر بنفس الانفعال :

- احتمال كبير .

استدار إليهم الدكتور (جلال) هاتفاً :

- ألا يمكنكم إعادة دراسة الموقف ، على ضوء تلك المعطيات الجديدة ؟؟
أجابه في حماسة :

- بكل تأكيد .

سأل في لهفة :

- وكم سيستغرق هذا في رأيكم ؟؟

(*) تمثيل ضوئي : عملية شديدة التعقيد ، تقوم فيها الأجزاء الخضراء من النبات بتخليق كاربوهيدرات (مثل المواد السكرية) ، من ثاني أكسيد الكربون والماء ، في وجود الضوء ، وبفعل ضوء الشمس

أجابهم كبيرهم في سرعة وحزم :

- ثلاث ساعات .

سأله في لهفة أكثر :

- ألا يمكن اختصارها إلى ساعتين ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يقول كبيرهم في حزم :

- سنبدل قصارى جهدنا ، ولكننا لا نستطيع أن نعد بإيجاز الأمر في أقل من ثلاث ساعات .

تعثم الدكتور (جلال) في عصبية :

- ثلاث ساعات ؟!

ثم انطلقت من أعماق أعصاب صدره زفرة مريرة ، قبل أن يضيف :

- من يدري ما الذى يمكن أن يحدث ، فى ظروف كهذه ، فى ثلاث ساعات ؟!

لهم .. من يدري ؟!

من ؟!

* * *

فى قلب للمعد تمامًا ..

هكذا وجد (نور) و (أكرم) نفسيهما بفتة ، عندما تبثد الظلام والعدم من حولهما ..

كنا يقفان عند تلك المنبج النوى ، وكاهن الترهيب أمامهما مباشرة ، يتطلع إليهما بعينيه اللاريتين المخيفتين ، ويفصلهما عنه تلك الوعاء للنحاس الضخم ، الذى تتصاعد منه الأبخرة ، وخلفه يستقر إصبع الشيطان المخيف ، داخل صندوقه للزجلى البدائى ..

وحولهما كان يقف الباقون ..

يقفون ذاهلين ، مبهورين ، داخل تلك الدوائر الفضفية القاتلة ..

وفى لحظة ظهورهما المبالغته ، شق الكل ..

وبكل فرحة الدنيا ، هتفت (سلوى) و (نشوى) فى آن واحد :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

لما (مشيرة) ، فبكت في حرارة ، هتفة :
 - (أكرم) ! أنت حي .. أنت حي يا (أكرم) .
 هم (أكرم) بالانففاع نحوها ، ولكن (رمزي)
 صاح به في ارتعاج :
 - إليك أن تقرب منها .
 سمّرت الصبحة (أكرم) في مكانه ، وجعلته يلتفت
 إليه ، هاتفاً في عصبية :
 .. ولماذا ؟
 لجلبه في سرعة وتوتر :
 - عبور تلك الدوائر الفضائية من أي اتجاه ، يعني
 كارثة .
 ثم أشار إلى جثة المقاتل المحترق ، مستطرداً :
 - انظروا بنفسيكما .



كانا يقفان عند تلك التذبح النعوى ، والكاهن الرحيم أمامهما مباشرة .
 يتطلع إليهما بحبيبه الناريته .

اتعقد حاجبا (نور) بشدة ، مع المشهد البشع ، فى
حين استلّ (أكرم) معدسه بحركة غريزية ، واستدار
بصوبه إلى ذلك الكاهن الرهيب ، هاتفا .

— أبها الوغد .

تألفت عينا الكاهن أكثر ، وحننا لمحة سالفة
جعلت (أكرم) يضم شفثيه فى غضب هائل ، و ...

« لاتضيع رصاصاتك هباءً يا صديقى ... »

قلها (نور) ، وهو يمسك معصم (أكرم) فى قوة ،
مستطردا :

إنها لن تقتله .

ثم أشار إلى الباقيين مستطردا :

— أضف إلى هذا أن رفاقنا فى قبضته .

« أنت أكثرهم ذكاءً إذن .. » ..

تبعث الصوت داخل عقل (نور) مباشرة ، فتنفض

جسده فى عنف ، واتعقد حاجباء فى شدة ، وهو
يحكى فى ذلك الكاهن ، الذى تألفت عيناه لكثرة وأكثر ..

« أنت فقدهم .. » ..

مرة أخرى غصص للصوت ، فى أعصى أعصى تلايف
مخه ، فهتف :

— ألم تترك هذا بعد ؟!

تطلع إليه الكهل فى دهشة ، وغمغم (أكرم) فى توتر
شديد :

— ماذا أصابك يا (نور) ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ليلزم الصمت ، فتتممت
(ملوى) فى هلق يلى :

— رباه ! ماذا ...

قاطعها (رمزى) فى خفوت ، يحمل الكثير من
الحزم :

.. لا يتدخل أحدكم .

ثم أضاف ، وقد انتقل ثوبهم إلى صوته :

.. به اتصال عقلى على الأرجح .

« تتصور نفسك قبادراً على هزيمتى .. أليس

كذلك ؟ »

تردد السؤال الساخر فى عقله ، والكاهن

يتطلع إلى عينيه مباشرة ، فشد قلمته فى اعتدال ،

وقال :

.. ولم لا ؟

أتاه ذلك الصوت فى صدى تلافيف مخه ، بإيقاع

لكثر سخرية :

.. لأنه مهما بلغ نكلك ، ومهما بلغت عبقريتك ، فذاك

لن تتفوق على نكاء يحمل أكثر من مليون علم من

الخبرة .

مليون علم ؟

مليون علم ؟؟؟

مليون علم ؟؟؟؟؟

تردد الرقم فى رأسه ، وعيناه تتسعان ذهولاً

واستكراً ..

هذا الرقم مستحيل !

حتمًا مستحيل !

لقد استكره فى البداية قول السكان المحليين ، بأن

هذا الكاهن يحيا منذ آلاف السنين !

فما بالك بالملايين ؟

« هل يدهشك هذا ؟ »

العبارة اخترقت عقله لكثر سخرية وعنفوان ، فالتقى

حاجباه بشدة أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

مهما يقل ، لن يمكنه تصديق هذا قط ..

مليون عام؟!

مستحيل !

وَألف مستحيل !

« تعال معي إذن .. »

جاء الصوت عميقاً رهيباً هذه المرة ..

ثم حدث ما حدث بفترة ..

ودفعة واحدة ..

انسحب ظل (نور) بفترة خارج المعهد ..

بل خارج المكان والزمان ..

انطلق عكسياً عبر العصور والأزمنة ..

مئات .. آلاف .. بل مئات الآلاف من السنين

والأعوام ..

مليون عام دفعة واحدة ..

بل ملايين السنين ..

الديناصورات تملأ الأرض^(*) ..

البراكين تتفجّر في كل مكان ..

التيورات ..

المستنقعات ..

رائحة الأوزون القوية^(**) ..

ثم فجأة ، تسحب عقله إلى الأمام ..

إلى العصر الجليدي الكبير ..

الهابستوسمين^(***) ..

(*) الديناصورات : مجموعة من الزواحف هائلة الحجم ، كانت تعيش في حقب الحياة الوسطى ، فيما بين ٢٥٠ و ١٧٥ مليون سنة مضت ، كانت بعضها من أكلة اللحوم ، التي تغترس خيزر من الديناصورات النباتية ، بينما كان البعض الآخر يعيش في الماء ..

(**) الأوزون : غاز عديم اللون غير ثابت ، له رائحة قوية ينتج من الأشعة فوق البنفسجية ، وتنبعثات النشاط الإشعاعي على الأكسجين ، وجزيئه يتكون على ثلاث ذرات لأكسجين .

(***) الهابستوسمين : آخر أزمة التاريخ الجيولوجي ، يعتقد بعصر الجليد الكبير ، بعده ظهر الإنسان على الأرض ، وبدأ تطوره ، مع الثدييات المعروفة حاليًا ..

الجليد يضر كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

التجند ..

ثم البقاء في حالة كمون لسنوات طوال ..

سنوات أطول مما ينبغي ..

وفقرة أخرى إلى الأمام ..

مرحلة أشبه بالتحوصل ..

حوصلة تحيط به ..

ويكمن داخلها ..

حالة أشبه بالمسبات العسقي ..

أو بالبيات الشتوي ..

مرحلة استغرقت ملايين الأعوام ..

ثم جاءت الليقظة هنا ..

في قلب إفريقيا ..

منذ مليون عام ..

مليون عام !؟

فترة كافية لاكتساب خبرات هائلة ..

وقوى هائلة ..

وكافية لإنشاء عقيدة جديدة ..

(الفودو) ..

وانسحب العقل بصف أكبر ..

وسرعة أكثر ..

الحياة تتطور بسرعة ..

والخبرات تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

والقوى أيضا ..

استعراض سريع مخيف ، لذهبات رهيبة تنمو ..

تتضخم ..

تلتهم الحيوانات ..

والبشر ..

وبلا رحمة ..

القبائل كلها تتحنى صاغرة ..

الخوف يملأ النفوس ..

والقلوب ..

الزعماء ينحنون ..

و ...

فجأة ، عاد عقل (نور) إلى رأسه ..

وبمنتهى العنف ..

ارتد إليه كما لو كان نكمة قوية ، فارتج جسمه في
عنف ، وتراجع كمن أصابته صاعقة ، وسقط على
ظهره وسط المكان ، على نحو جعل (لكرم) يصوب
مسدسه مرة أخرى إلى الكاهن الرهيب ، هاتفا :

- ماذا فعلت به فيها لك ...

فقطعه (نور) في ضعف ، مكرراً عبارته القديمة :

- اذكر رصاصتك يا صديقي ..

صاح (لكرم) في غضب ، وهو يلوح بمسدسه صوب
الكاهن :

- ولماذا لا ألمجرك أنه يحتجز رفاقنا .

تألفت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وقضى يلتقط الجمجمة
غير البشرية ، و ...

« إياك أن تفعلها .. »

صرخ (لكرم) بالكلمة ، وهو يضغط زناد
مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

انطلقت في نفس اللحظة ، التي سقط فيها ذلك
الوميض ..

وبمنتهى الشدة ..

أغلق عينيه كالآخرين ، وهو يهتف في غضب :

- ماذا سيفعل بنا هذه المرة .

راوده شعور عجيب بأنه يفوض في مادة لينة ،
شبيهة بالإسفنج ..

أو أكثر ليونة ..

ثم انتهى هذا للشعور بفتة ..

وعندما فتح عينيه ، كتوا جميعاً في موقف جديد ..

(نور) مازال راقدًا على الأرض ، في ضعف واضح ..

الباقون تحرروا من تلك الدوائر الفضية ، دون ميرز
منطقي ..

المعبد مازال كما هو ، بمذبحه الدموي ، واللوعاء
النحاسي ، والجدران بنقوشها ..

ولكن الكاهن وإصبع الشيطان لم يعد لهما أثر ..

وفي لهفة تدفعت (مسيرة) تلقى نفسها بين ذراعي
زوجها ، هاتفة :

- (أكرم) .. أخيرًا يا (أكرم) .. حمدًا لله .. حمدًا
لله .

أما (سلوى) و(نشوى) و(رمزي) ، فقد أسرعوا
إلى (نور) ، والأولى تسأله في لوتياح :

- (نور) .. أتت بخير ؟ أتت بخير يا (نور) ؟

أوما برأسه إيجابًا ، وهو يتمتم ، مطلقًا عينيه :

- كل ما أحتاج إليه هو قليل من الاسترخاء
والراحة .

سألته (نشوى) في لوعة ، ودموعها تغرق
وجهها :

- بم تشعر يا أبي .

صمت بضغ لحظات ، قبل أن يتنسم ابتسامة باهتة
شاحبة ، متمتمًا :

- وكان مخي يحترق .

سأله (رمزي) ، في اهتمام قلق :

- كان اتصالاً عقلياً .. أليس كذلك ؟

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب في استرخاء :

- كان تحدّياً عقلياً .

زفر الدكتور (حجازي) ، وكأنما يزج عن كاهله عبئاً ثقيلاً ، وقال :

- اتركوه يسترخى قليلاً ، وسيعود كما كن .

الحنى (أكرم) برّبت على كتف (نور) ، وهو يتسم ، قائلًا :

- استرخ يا صديقي .. بعد كل ما واجهناه ، أنت تستحق هذا .

سألته (مشيرة) في لهفة :

- وما الذي واجهتماه ؟

أجابها ، وهو ينهض في القضاة :

- أهوالاً ..

بدأ لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع مبتسمًا في توتر :

- لو رويتها أنا لنفسى ، لما صدقتها .

قالت (مشيرة) في حسم :

- ولكنك سترويها لى ، وبكل التفاصيل .

حنى (أكرم) في وجهها بدهشة ، قبل أن يقول في عصبية :

- ماذا دهك ؟! حتى فى ظروف كهذه ، تسنّعين خلاف خبر جديد .

هتكت في حدة :

- إتها مهنتى .

أجابها الدكتور (عبادة) في عصبية :

- أتبحثين عن خبر جديد ؟! خذى هذا الخبر إذن .

واحتدّ صوته ، وهو يضيف :

- لا توجد هنا أية أبواب أو نوافذ .

سألته في دهشة حذرة :

- ماذا تعنى ؟!

لوح بذراعيه ، وهو يقول في حدة ثلرة :

- أعتنى أنه ليس هناك سبيل ولحد للخروج من هنا .

هتفت (سلوى) في ذعر :

مستحيل ! كيف دخلنا إذن ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

- تذكرى أن أحدًا منا لم يدخل إلى هنا قط بأسلوب

طبيعى .

تمتت (نشوى) مبهوتة :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

وهنا قال الدكتور (رمسيس) فى عصبية بالغة ،
وهو يتحصّن الجدران :

- لو أنتم خيرًا أكثر أهمية وخطورة ، فاستمعوا
لى أنا .

استدارت العيون كلها إليه ، فدار حول نفسه
لمواجهتها ، وشذّ قامته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ،
ويقول فى حزم ، لم يفقد عصبية بعد .

- هذا المعبد ليس ، ولم يكن قط فرعونياً ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة تقلب مفاهيم الأمور كلها رأسًا على عقب ..
وبخف .



٦- التحدي ..

في اتبهار حقيقى ، وقف (أمجد) يتطلع إلى شلال النار المنهمر ، قبل أن يتمم فى خفوت :

- مستحيل ! مشهد لا يمكن أن يراه المرء فى حياته مرتين .

أدار عينيه فيما حوله مرتين ، ليتأكد من أنه لا يوجد مسار آخر ، بخلاف ذلك الذى اتخذه . قبل أن يلتقط نفساً عتيقاً ، ويتطلع مرة أخرى إلى شلال النار ، قائلاً :

- لا يوجد سبيل آخر .. ولكن هذا الطريق مطلق بجدار الذهب المنهمر هذا ، فكيف يتفق هذا وذاك ؟

استرجع فى ذهنه كل ما مر به من آثار ، تؤكد أن (نور) وفريقه اتخذوا كلهم ، أو بعضهم على الأقل ، المسار نفسه ..

ومثله لا يحتاج إلى رؤية دلائل قوية ..

فقط غصن مكسور ، أو أوراق شجر مهشمة ، أو حتى قطرة دم ..

أى شيء كان يكفى خبيراً مثله ؛ ليحدد طريقه جيداً ..

أى شيء ..

وفى موقفه هذا ، أمام شلال النار ، كان عليه أن يستنفر كل طاقته ..

وخبرته ..

وثقته ..

وفى هدوء حازم ، راح يفحص كل ما حوله بعين فاحصة ..

مدققة ..

خبيرة ..

وخلال عشر دقائق فحسب ، كان عقله قد رسم صورة استباقية للموقف كله ، وهو يحدث نفسه ، مضمناً :

- ثلثان .. تراجعاً . ثم قلنا .. أحدهما سبق الآخر ..
اعتدل يلتقط نفساً عميقاً ، وهو يغمغم :

- عجباً !

كانت الآثار التي رصدها في المنطقة ، توحي بأن
رجلين قد وثبا عبر شلال النار الرهيب هذا ..

ومن الناحية المنطقية ، بدا له هذا مستحيلًا ..
للغاية !

ومرة أخرى ، راح يتطلع إلى شلال النار في حيرة ..
إنه واثق تمامًا من خبرته في قراءة الأثر ..
وفي إدراك مضمونه ..

ولكن هذا المضمون يبدو مستحيلًا ، أمام جدار
الذهب هذا ..

إلا إذا ..

تعتقد حليجاء في شدة ، وهو يستعيد عبارة شهيرة

لثروكي المعروف (أوتز كونان نويل)^(*) ، جاءت على
لسان شخصيته البوليسية الأشهر (شيرلوك هولمز) ..
إذا ما استبعدنا المستحيلات ، فإن ما يتبقى أماننا
هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها ..

وهو هنا أمام موقف مستحيل !

ما من مخلوق واحد ، في الكون كله ، يمكن أن
يقفز ببرايته في قلب النار ..

عقلًا كان أم مجنونًا ..

فالله (سبحانه وتعالى) ، غرس في نفس كل مخلوق
حي مهابة النار ..

حتى الشياطين أنفسهم ..

(*) سير (أوتز كونان نويل) (١٨٥٩ - ١٩٣٠ م) روائي إنجليزي ،
ابتدع شخصية (شيرلوك هولمز) ، أشهر شخصية أدبية بوليسية عرفها
التاريخ . كان طبيبًا ، ثم تفرغ لفترة للادب ، قبل أن يعود مرة أخرى
لمهنة الطب . فكتبت شهرة شخصيته الأدبية شهرته ، فتوقف لفترة عن
كتبتها ، ثم لم يلبث أن رشح لضغوط الكرام ، وعاد إليها مرة أخرى

ولكن كل الآثار هنا تؤكد أن رجلين قد قُتلا عبر
النيران ..

والبعثة لا تضم معقوها واحدا ..

الأمر يكمن إذن في النار نفسها ..

النار ..

تطلع طويلاً مرة أخرى إلى شلال النار ، والنقط نصفاً
صيقاً من الهواء قسطنطين ، الذي يؤكد أن ما يراه
حقيقة ، وعقله يكاد ينتهب من التفكير العميق ..

وبعينيهِ ، راح يدرس الأمر كله مرة أخرى ..

لنار التي تنهمر من أعلى إلى أسفل ، بخلاف كل
قوانين الطبيعة ..

لوهج المترقق المنتظم ..

آثار الأقدام على الأوراق الجافة ..

ثم عاد حليباه ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فقد كان عليه اتخاذ قرار خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

ولكن طبيعته العاسمة أنهت ذلك الصراع في
أعماله بسرعة مذهلة ..

ويكل الحزم والحسم ، تراجع (أمجد) ، وعينه
لا تفارقان شلال النار ، و ...

وفجأة ، شعر بتلك الحركة خلفه ..

وبسرعة مذهلة ، استدار إلى مصدر الصوت ،
وهو يستلّ خنجره ..

ثم تجمّد في وقته هذه ، وهو يدير عينيه في مستنق
من الرماح البدائية ، اتجهت كلها نحو صدره ، مع
ضغطها من السهام ، التي يصوبها إليه مقاتلون من
الزنوج البدائيين ، ظلوا وجوههم بظلاء مميز ..
ظلاء الحرب ..

ولأن الشجاعة لا تعني الحماسة ، فقد ألقى (أمجد)
خنجره لوضاً ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ، قللاً
بلهجة سألخرة ، بدت عجيبة في موقفه هذا :

- راع .. كنت أظن أنه لا يوجد بشر عاديون هنا .

ولم يبتسم مخلوق واحدة كعابته ..

فقد كانت العيون كلها تحمل نظرة واحدة ..

نظرة مقاتلين خرجوا لهدف واحد ..

الموت ..

* * *

المفاجأة التي فجرها قول الدكتور (رمسيس) ،
جعلت (نور) يعتدل في ريقته ، وهو يقول في دهشة :

- ليس معيذاً فرعونياً ؟! ولكن البعثة السابقة ..

قاطعه الدكتور (رمسيس) في الفعل :

- البعثة السابقة لم تكن تضم عالم آثار واحداً ،
لذا فقد خدعهم هذا الزيف هنا ، كما خدع الكل ،
ونجح في خداعكم أيضاً ..

ثم غلبته الحماسة المهنية ، وهو يشير بيديه إلى
الجدران ، متابعاً :

- ما ترونه حولكم هو مجرد تقليد لمعهد فرعونى ..

وليس حتى تقليداً متقناً .. بل ولا يمكن أن ينتمى إلى
عهد أسرة بعينها ، من الأسر الفرعونية المعروفة ،
ففقوشه هي مزيج من نقوش المستخينة في كل عهد ،
وحتى الرسوم ، تبدو وكأنها خليط من كل أساليب
الرسم ، التي تغيرت وتطورت ، من عصر فرعونى إلى
آخر .. والأدهى من هذا أن كل ما ترونه على الجدران
لا يعنى شيئاً ، ومزجه بتعاويذ سحرة (الفودو) مجرد
شكل وهمي ، مقصود به إيهار غير المتخصصين فحسب .
تعتقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله ،
مضغماً :

- إذن فكل هذا مجرد خداع .

مطأً للدكتور (رمسيس) شفتيه ، وضغط للجدران
بأصابعه ، قائلاً :

- خداع يفوق كل ما يمكنكم تصوّره ، فهذه الجدران
ليست حجرية .

هتف الكل بدهشة علومة :

- لمصت ماذا ؟

فنفخوا وتحسسون الجدران بدورهم ، وهتف (كروم) في عصبية :

- هذا صحيح .. إنها مادة أشبه بفلاستيك .

وقالت (سلوى) في حذر :

- ألياف زجاجية على الأرجح .

قال الدكتور (حجازي) :

- كلاً .. إنها باردة للغاية .

تدفع الدكتور (عبادة) ، يقول في عصبية :

- ولكنها ليست بلازما هي الأخرى .

التفت إليه الدكتور (حجازي) ، قائلًا في حدة :

- ولم لا ؟

هتف في حدة ممثلة :

- لأن أخذًا لا يمكنه إنتاج كل هذه الكمية الهائلة من البلازما ، ولو حتى في مليون عام .

كاد النقاش يحتم بين الكل ، حول ماهية جدران للمعد ، لولا أن هتف (نور) فجأة في صرامة :

- كفى .

هتافه أخرس كل الأكسنة دفعة واحدة ، وجعل الكل يلتفت إليه في تساؤل قلق متوتر ، فقال وقد امتزجت صرامته بحزم شديد :

- كل ما يحيط بنا عجيب ، ويتألف مع كل ما عرفناه في حياتنا .. دعونا نعتبر هذا حقيقة واقعة ، في وقتنا الحالى ، وألا نضيع الوقت أو الجهد في مناقشته ، أو الجدال بشأنه ؛ لأن هذا لن يفيد سوى خصمنا وحده .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف في حزم أكثر :

- فلنستقل أن ضرور خصمنا قد دفعه إلى جمعنا معًا ، ليكمل كل منا ما لدى الآخر من معلومات ، حتى تكتمل الصورة إلى حد ما معنا جميعًا .

قال الدكتور (حجازي) :

- أنت على حق يا (نور) .. وأظنك و(أكرم) أكثر حاجة لمعلوماتنا منا إلى معلوماتكما ، فقد قضينا هنا وقتاً أطول .

قال الدكتور (عبادة) في عصبية :

- وما الذي عرفناه ، مع طول وجودنا هنا أبها العبقري .

أجابه (نور) في حزم :

- أية مطومة يمكن أن تصنع فارقاً كبيراً ، في ظروفنا هذه يا دكتور (عبادة) .

بدا الرجل منهزماً ، وهو يقول :

- في رأيي أنه حتى كل مطومة للدنيا ، لن تصنع فارقاً صغيراً .. لقد قتهى أمرنا تملأنا .. تلك للشيطان يعبث بنا فحسب ، قبل أن يسحقنا سحقاً ، تملأنا مثلاً يعبث القط بالغار ، قبل أن يلتهمه .

تطلع إليه (نور) في صمت بضع لحظات ، ثم التفت إلى رفيقه ، قائلاً :

- حسن .. لريد أن أسمع ما لديكم .. وبكل التفصيل ..

وفي نفس القاعة ، التي يقفون فيها ..

وفي نقطة مظلمة ، لا يمكن أن تبصرها عيونهم اللواعة ، كان الكيان الشيطاني كله يستمع ، ويشعر في أعماقه بسخرية متفوقة ..

يشعر أنه الأكثر ذكاءً ، وقوة ، وخبرة ..

وأنه المنتصر في النهاية ..

حتمًا ..

* * *

بدا الغضب واضحاً ، على وجه رئيس تلك الدولة الإفريقية ، وهو يقف في منتصف حجرة مكتبه الرئيسية ، مع مدير مخابراته ، معقود الحاجبين ، وكفاه خلف ظهره ، وعيناه تستقبلان وزير خارجيته في صرامة ، شفت عنها صوته ، وهو يقول :

- ما هذه الأخبار التي وصلتني عنك أيها الوزير ؟!

شعر وزير الخارجية بقلق عارم ، وهو يلقى نظرة على مدير المخابرات ، قبل أن يسأل رئيس الجمهورية في توتر :

- أية أخبار يا سيادة الرئيس ؟!

جعل صوت الرئيس كل غضب الدنيا ، وهو يقول :

- اتصالاتك السرية بذلك الكاهن المخيف ، في منطقة (فو - كا) .

ارتجفت شفقا وزير الخارجية ، ولقى نظرة نائمة على مدير المخابرات ، قائلا في توتر عنيف :

- سيادة الرئيس .. أمور الدولة تحت أحيانا ..

فناطعه الرئيس ، مكتملا في غضب :

- التحالف مع الشيطان .. أليس كذلك ؟!

قال للوزير في عصبية :

- بلى .. ليست أول من يفعل هذا .. كل وزراء

الخارجية السابقين ، كانت لهم اتصالات معه ..

قال الرئيس في غضب :

- وهل أخفوا كلهم أمر تلك الاتصالات على رؤساء جمهوريتهم ؟!

قال للوزير في حدة :

- هذا أمر تحتّمه الظروف .

صاح الرئيس في وجهه :

- بل هو خيانة للنظام كله .

تلفظ الوزير ، وقال في عصبية :

- سيادة الرئيس .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل .. من قبل أن نولد .. ومن قبل أن نولد لأجدنا .. ولجده أجدنا ، والوسيلة الوحيدة لتأمين شروره ، ومنعه من مد نفوذه وسيطرته إلى قلب الدولة ، هي التحالف معه .

تدخل مدير المخابرات عند هذه النقطة ، قائلا :

- هراء .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل كما تقول ،

ولكن لم يحدث قط أن تجاوز نطاق نفوذه ، حتى في

عهد النظم السابقة ، التي لم تجر أية اتصالات معه ،
ولكن ما حدث فعلياً هو أنك قد تطوّعت بنقل بعض
أسرار الدولة إليه .

صاح الوزير في عصبية بالغة :

- أسرار الدولة ١؟ عن أية أسرار تتحدث بأرجل ..
ذلك الكاهن يعرف كل شيء .. كل الأسرار .

قال مدير المخابرات في صرامة :

- لماذا ذهبت لتتقل إليه أسرار الدولة إذن ، لماذا
يعرفها كلها ؟

لوح الوزير بفراعه في حدة ، قائلاً :

- تماماً كما تبلغ دولة صديقة بشلونك ، التي تعظمها
جيداً .

قال الرئيس في صرامة غاضبة :

- الخيانة هي الخيانة .

انصرفت عينا وزير الخارجية بدهشة مستترة ، قبل
أن يهتف في حدة :

- خيانة ١؟ عن أية خيانة تتحدثان ؟ لقد كنت أحاول
حمالية الدولة والنظام .. إنكما لا تطمان شيئاً عن
أصول التعاملات للدواية ، أو للتفاوض مع الدول .

قال الرئيس في غضب :

- ربما كانت لذلك الكاهن منطقة نفوذه ، ولكنها
ما زالت داخل حدودنا ، ولن نتعامل معه قط باعتباره
دولة داخل دولة .

صرخ وزير الخارجية في ثورة :

- إنكما لا تفهمان شيئاً !! ذلك الكاهن قاهر على
مصدقنا جميعاً ، إذا ما أراد هذا .

ارتجف صوت الرئيس ، من فرط الغضب ، وهو
يقول :

- أي شيء في الدنيا لن يبرّر خيانتك .

صرخ وزير الخارجية مرة أخرى :

- إنها ليست خيانة !

ثم لَوَّحَ بمسبأته في وجهيهما مستطردًا في حدة :

- ثم إني لست الوحيد الذي يتصل به .

أشاح رئيس الجمهورية بوجهه في حق ، في حين
تطلع مدير المخابرات إلى عين وزير الخارجية
مباشرة ، وهو يقول في صرامة :

- رئيس الوزراء تم اعتقاله منذ ربع الساعة فقط ،
ووزير الداخلية تم اعتقاله في أثناء انتظارك مقابلة
السيد الرئيس .. الكل تم اعتقالهم بنفس التهمة .

عد الرئيس يلتفت إليه ، مضيفاً في صرامة غاضبة :

- أنت الأخير .

استمع وجه وزير الخارجية ، عندما قذف ثلثان من
رجال الحرس الجمهوري ، إلى حجرة مكتب الرئيس ،
وأحاطا به بمساحيقهما في صرامة متحفزة ، فنقل
بصره بينهما ، عن يمينه ويساره ، قبل أن يتطلع
إلى مدير المخابرات ، قائلاً في غضب هائل :

- إنهم المصريون .. أليس كذلك ؟

لم يجب مدير المخابرات ، فاشتعل الغضب في وجه
الوزير وصوته ، وهو يقول :

- ستدمان على هذا .. ستدمان أشد لئلا .. الكاهن
سوف يسحقكما سحقاً .. ويلارحمة .

أشار الرئيس بيده في صرامة ، هاتفاً :

- خذاه .

دفع الجنديان وزير الخارجية أمامهما في خشونة ،
وما إن أصبح الثلاثة خارجاً ، حتى قال الرئيس في
غضب هائل :

- ليت البرلمان يعيد عقوبة الشق : لينفخ الخونة
جزاء قطعهم .

مطأ مدير المخابرات شفتيه ، وقال في توتر :

- من يدري من سينال جزاء فعلته .

استدار إليه الرئيس بحركة حادة ، ثم ملأ نحوه ،
وسأله في عصبية :

- هل بدأت تؤمن بما يقولونه ، عن قدرات ذلك
الكاهن ؟

أجابني الرجل في سرعة :

- ومن أنكر قدرته ؟

تراجع الرئيس بحركة حادة كالمصعوق ، فزفر
مدير المخابرات في توتر ، قبل أن يتابع في حذر :

- ولكن البعثة المصرية تضم رجل المخابرات العلمية
المصري الأشهر (نور الدين) .. بطل حرب التحرير^(*).

ثم اعتقد حاجباه ، وهو يتابع :

- وكما ترى .. تلك الأحرار ، ومنطقة (فو - كا)
كلها ، تمر بظروف غير عادية ، لم تمر بها من قبل ،
حتى عندما اقتحمتها تلك البعثة المصرية الأولى ،
وهذا يعني أن ما يحدث الآن ، لم يحدث من قبل قط ..

والتفط نفسيًا عصبًا ، ثم استنرد في حزم :

(*) راجع قصة (الاحتلال) . للشهيرة رقم ٧٦ .

- ولست أكذبك القول ، لو أبلغ في تقدير الموقف ،
عندما أقول إن شعبنا كله يتصور أن التحطم بطل
التحرير الأشهر لتلك الأحرار ، ومواجهته المباشرة
لذلك الكاهن ، قد يكون فيها حسم للكثير والكثير من
المواقف ..

بل لقد صار هذا هو أملهم الأخير ، في التخلص من
تلك الرعب ، الذي تتوارثه الأجيال هنا ، مع وجود تلك
الشيطان منذ آلاف السنين .

سأله الرئيس في خفوت ، يحمل الكثير من القلق
والتوتر :

- هم يتصورون هذا ، ولكن ماذا عن التصور
الرسمي ، باعتبارك مدير إدارة المخابرات ؟

مطأ الرجل شفتيه ، وصمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- إننا نعتمد على كفاءة وخبرة المصريين .

ولم يمسأله الرئيس سؤالاً آخر ، ولكن شيئاً ما في
أصغره ارتجف في عتف ..

شيئاً تساعل : هل يمكن أن ينحسم الأمر بالفعل ،
بعد آلاف السنين ؟

هل ؟

* * *

رأى صمت مهيب ، داخل ذلك المعبد ، فى قلب
أحراش (إفريقيا) ، وبعد أن انتهى كل شخص من
رواية مآلئيه ، والتقى حاجبا (نور) فى تفكير صيق ،
وعقله يلقب كل ما سمعه على كل الوجوه ، ويرتبه ،
وينمقه ، ويضيف إليه تجريته الشخصية ، وإحصائه ،
وكل ما سمعه ، أو رآه ، أو استقبله عقله ..

وأمام أحد جدران المعبد ، المصنوعة من مادة عجز
الكل عن تحديد هويتها ، وقف يتطلع إلى النقوش ،
التي كشف الدكتور (رمسيس) أمرها ، فقال الدكتور
(عبادة) فى عصبية ، قاطعا ذلك الصمت :

- ماذا أصابكم ؟

هتف به الدكتور (حجازى) فى خفوت صارم :

١٥٨

- اصمت يا رجل .. (نور) يفكر .

هتف الدكتور (عبادة) ، فى عصبية أكثر :

- يفكر ؟! أهذا كل ما سيفعله ؟

لمسك (رمزى) معصمه بقة ، وهو يقول فى
صرامة شديدة :

- نعم .. هذا كل ما سيفعله ، ولكن تفكيره هذا هو
الذى ينفذنا من كل خطر نواجهه ، بعد رعاية الله
(سبحانه وتعالى) .

أضاف الدكتور (حجازى) بنفس الصرامة الخافتة :

- وتفكيره هذا موهبة خارقة ، ونعمة من الله
(سبحانه وتعالى) تفوق كل ما حصلت عليه أنت من
دراسات ، وشهادات ، وخبرات .

أطلق الاستفكار من عينيه ، فأضاف (أكرم) فى
خشونة :

- ولو أنك سعيد الحظ ، فسترى هذا بنفسك .

١٥٩

لم يبد أن (نور) قد سمع حرفاً واحداً مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ، على مسافة متر واحد منه ، فقد بدت عيناه شاربتين ، وشفت كل خلجة من خلجاته عن تفكير عميق ..

عميق للغاية ..

ثم فجأة ، قلل في حزم :

.. خصمنا ليس بشرياً .

هتق فيه الجميع في اهتمام ، وغمغم الدكتور (عبادة) في عصبية :

.. أهذا كل ما هداه تفكيره العبقري إليه ؟!

استدار (نور) يولجهم في حزم ، وتابع وكأه لم يسمع ما قاله الدكتور (عبادة) :

.. ربما جاء من عالم آخر ، لو كان أحد المغلوقات ، التي عمرت الأرض ، قبل ملايين السنين ، أيام كانت الديناصورات هي كل سكان كوكبنا ، ولسبب ما ، لم يقض عليه التطور ، ولم يقتله العصر الجليدي ، بل مرّ لملايين السنين بمرحلة تحوصل .



لم يبد أن (نور) قد سمع حرفاً واحداً مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار

قاطع الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف في صرامة :
- مستحيل !

صاح به (رمزي) في حدة :
- لا تقاطع (نور) .

قل الرجل في عصبية :

- ولكن ما يقوله ليس منطقيًا أو علميًا فالتحوصل
مرحلة تختص بها بعض الكائنات الدقيقة ، أو الفطريات ،
أو أنواع الجراثيم الرقيقة ، وفيها يحيط الكائن نفسه
بحوصلة قوية ، يكمُن داخلها ، ويوقف نشاطه تمامًا ،
عندما تتلزم الأحوال البيئية أو المناخية من حوله ،
وتستمر حالة تحوصله وكمونه ، حتى تتحسن الأحوال
للخارجية ، وتناسب نموه ، فيزيل حوصلته ، ويعود
إلى نشاطه .

قل (نور) في حزم :

- وهذا بالضبط ما حدث .

هتف الدكتور (عبادة) مستكبرًا :
- لملايين السنين .

ثمغم الدكتور (رمسيس) في تردد :

- لقد عثرنا في بعض المقابر الفرعونية على كائنات
متحوصلة ، منذ آلاف السنين^(١٨) ، ولكن ليس منذ
الملايين .

هتف الدكتور (عبادة) :

- هذا بالنسبة للكائنات الدقيقة كما قلت ، ولكن كل
مراجع الطب البيطري ، وعلم البيولوجيا ، وعلوم
الكائنات الدقيقة ، لم تشر إلى احتمال ، أو ضليل للغلبة ،
أن يكون هناك كائن بهذا الحجم ، يمتلك القدرة على
التحوصل .

ثم لَوَّح بسبائته في وجه (نور) ، مستطردًا :

- واتحدك أن تثبت العكس .

(*) حقيقة

تطلع إليه (نور) فى هدوء ، قائلاً :

- فلنؤجل التحديات والإثباتات إلى النهاية يا دكتور (عبادة) ، فعلى الرغم من ثقتى التامة بكل ما قلته ، نظراً لتجربة عقلية منفردة ، إلا أثنى لأملك دليلاً واحداً على صعته .

هاتف الدكتور (عبادة) :

- أسمعتم ١٢

لنكره (أكرم) بمرفقه . قائلاً فى صرامة :

- اصمت يا رجل ، واستمع إلى القائد .

عقد الدكتور (عبادة) حاجبيه فى حنى ، وأطبق شففيه فى غضب . فتنطلق إليه (نور) لحظة ، ثم تابع بنفس للحزم :

- لقد قتلت حالة تحوصله منذ مليون عام .. فترة طويلة للغاية ، لينمى قدراته وطاقاته ، وليكتسب قوى جديدة هائلة ، على رأسها قدرته المذهلة على

إنتاج أطنان من البلازما الصناعية ، ومزجها بقدرة هائلة على صنع الوهم المتحرك .. تماماً مثل ذلك التعقيد ، الذى هاجم الدكتور (مينا) ، والتعقيد الذى كاد يلهيها ، وأشباه عديدة أخرى ، أحضرت بنا فى كل مرحلة من مراحل هذه القضية ، التى لا تخضع لأية قواعد عهدها فى عالمنا من قبل .

سأله (أكرم) فى انفعال :

- تعنى أن كل ما مر بنا كان مجرد وهم يا (نور) ؟

أشار (نور) بسبائته ، قائلاً :

- وهم من نوع خاص للغاية .. نوع متطور ، لم نعهده من قبل .. ليس خداعاً بصرياً ، كالصور والمشاهد الهولوجرامية المجسمة ، التى نصنعها بأشعة الليزر ثلاثية الأبعاد ، بل هى مزيج من البلازما ، التى فتجها طوال مليون عام ، مع صورة وهمية تكسوها ، بحيث تبدو المشاهد حية واقعية ملموسة ، على الرغم من أنها مجرد وهم .

هزئت (سلوى) رأسها فى توتر ، مغمضة :

— من العسير أن أصدق أن كل ممرنا به كان
وهنا .

قال (نور) فى حزم :

— دعنى أوضح الأمر أكثر يا عزيزتى .. هل تدرين
كيف نشأت نظرية الموتى الأحياء ، أو (الزومبى) ،
التي ارتبطت بسحر (الفودو) ؟ إننا نعلم ونؤمن
جميعاً ، بأن الموتى لا يعودون قط إلى الحياة ، إلا بإرادة
الخالق (عز وجل) ، ولكن البلازما مادة ملموسة
بالفعل ، فإذا ما كساها قناع من الوهم ، لتبدو أشبه
بالميت ، ثم تم تحريكها بواسطة قوى عقلية متطورة ،
فإن هذا سيوحى بأن سحر (الفودو) قد أعادها إلى حالة
بين الموت والحياة .. هذا بالضبط ما ولجناه .. مادة
عقلية ، لها كيلى حقيقى ، وتحركها قوى عقلية هائلة ..
مادة قادرة على قتلنا بالفعل ، ولكنها تحمل هيئة
وهمية نشيء يمكن أن يثير خوفاً ورعباً .

هتف (أكرم) :

— إن ذلك للعكسوت كان قادراً على قتلنا بالفعل .

أجابه (نور) :

— بالتأكيد ، ولكن ليس بسم عكسوتى حقيقى
يا صديقى .. كان يكفى لقتلنا من شدة الرعب فحسب ..
تماماً كما حدث مع العلماء المصريين فى (القاهرة) ..
علماء البعثة الأولى .

قال الدكتور (حجازى) فى اعتراض :

— هذا لا يفسر أمر تلك المادة السوداء ، ذات
العناصر المجهولة ، التي حلت محل دماء الدكتور
(مينا) (رحمه الله) ، ولا ذلك الوحش الرهيب ،
الذى ثبت منها ، ليلتهمها كلها فى نهم ، والتي ما كنا
سنكشف غرابتها ، لو لم تنبى العينة ، فى جهاز
التحليل الإلكترونى .

البتسم (نور) ، وهو يقول فى حزم :

- كانت هذه هى الخدعة الكبرى ، التى استلزمت كل البراعة بـادكتور (حجازى) :

هتف الطبيب الشرعى بكل الدهشة والاستنكار :

- مستحيل يا (نور) ! لقد قمت بتحليلها بنلمسى .

هز (نور) رأسه نفياً ، قبل أن يقول :

- بل قام جهاز التحليل الإليكترونى بهذا بـادكتور (حجازى) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- وما الفارق ١٢

قال فى حزم :

- فارق كبير ، فالأجهزة الإليكترونية أسهل فى الخداع .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- جانبك التوفيق هذه المرة يا (نور) ، فالجهاز الذى قام بتحليل العينة ، جهاز حديث للغاية ، ونسبة الخطأ فيه تقل عن واحد فى المليون .

البتسم (نور) ، وهو يقول :

- للجهاز لم يخطئ ، ولكنه خدع .

هتف الدكتور (عبادة) :

- وكيف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- منذ حدث هذا ، وأنا أفساحل عن سبب المبالغة الشديدة فى الموقف .. لمام سوداء ، ووحش غريب ، ونيران .. مشهد عنيف للغاية ، للتخلص من جثة ، كان يمكن أن تحترق أمام أعينكم ، دون أن يملك أحدكم وسيلة واحدة لمنع هذا .

اتفق حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

أما الدكتور (عبادة) ، فتساعل فى عصبية :

- لماذا حدث كل هذا إذن ؟!

أجاب (نور) بنفس السرعة :

- لتشتيت الانتباه .

اتسعت العيون كلها فى دهشة حائرة ، فتابع فى حماسة :

- لقد كان هذا الأمر يشغلنى بشدة منذ حدوثه ،

فالدكتور (فريد) والدكتورة (عبلة) قتلهاما للربح وحده .. رؤية ذلك الكاهن الرهيب ، مع المظاهر المخيفة التى أحاطت به ، قتلتهما رعباً .. ثم جاء مصرع الدكتور (مينا) على نحو مختلف تماماً .

غمضت (نشوى) فى حيرة متوترة :

- ولكننا شاهدنا كل هذا بأنفسنا .

قال (نور) :

- شاهدنا عشرات العقارب الحمراء تهاجم الجميع ..

ثم ادركنا بعدئذ أن العقارب لقي هاجمتنا ، ولقى شعرنا يلقدها تنسلق ملابسنا وأجسادنا فى وضوح ، كانت مجرد وهم .. حتى للعقرب ، الذى تصوّر أنه قد قتل الدكتور (مينا) ، انسحق تحت قدم (أكرم) ، وترك حفنة من البلازما فحسب .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ما الذى قتل الدكتور (مينا) إذن ؟!

أجابه (نور) فى عزم :

- لربب الدكتور (حجازى) .. نفس الربب الذى قتل رفيقه .. أما ما رأيناه جميعاً من أسود وجهه وانتفاخه ، فلم يكن سوى وهم خداعى فائق .. حتى عينة الدم الأسود ، والوحش العجيب .. كلها مزيج من الخداع ، والبلازما ، وقدرة العقل المذهلة على التحريك . لهذا احترقت الجثة عن آخرها ، واحترق الوحش معها ،

حتى يستحيل إدراك الخدعة ، التي تهدف إلى إقناعنا
بحدوث تغيرات مادية في جسد الضحية ، وبعدها قهلتنا
عن فكرة الوهم الفائق .

هاتف الدكتور (عبادة) معترضاً :

- فلنفترض أن قدرته على خداع حواسنا قد جعلتنا
نرى الدماء العادية وكأنها سائل أسود لزج .. كيف
أمكنه إقناع جهاز تحليل العينات الإلكتروني بهذا أيضاً
لجابه (نور) :

- لم يكن بحاجة إلى هذا ، فالعينة التي فحصها لجهاز
كانت بالفعل لمادة سوداء لزجة ، غير معروفة في
عالمنا .. أو بمعنى أدق ، في زمننا هذا .. مادة كان
لها وجود في الأزمنة السحيقة ، منذ ملايين السنين ..
ربما هي نتاج عملية تطور قشرة الأرض نفسها ،
أو هي بقايا نيزك هوى من الفضاء الخارجي يوماً ما ،
في أثناء تكون كوكبنا . المهم أنه قد تم استبدالها بعينة
الدم ، في أثناء تشغلكم بالتواهر الوهمية المخيفة ،

حتى تكتمل الخدعة ، ويصبح لدينا دليل على حدوث
تغيرات مادية .

هزت (سلوى) رأسها في حيرة ، قللة :

- وما الغرض من إثبات هذا ، أو بذل الجهد لإقناعنا
به ؟!

لجابه (نور) في حزم :

- لأنه يعلم أننا أنكبنا بدرجة كافية ، بحيث يمكننا
كشف حقيقته ، وإزالة القناع ، الذي يحكم به سيطرته
على المنطقة كلها ، منذ آلاف السنين .. لهذا كان
لا بد أن يدمر كل الوثائق والصور والأقلام الخاصة بالبعثة
الأولى ، وأن يستعد كل شيء ، وإلا لأفركنا بعد حين ،
طلال لم قصر ، أن قوته كلها تكمن في الوهم .. الوهم
الملموس ، الذي لم يعرفه علمنا قط .

قال الدكتور (رمسيس) في توتر ، وهو يتحسّن
جدران المعبد مرة أخرى :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن يكون كل هذا مجرد وهم ؟

عقد (نور) ساعديه أمام صدره فى حزم صارم ، وهو يقول :

- إنه كذلك بالتأكيد .

ثم التقى حاجباه ، مضيقاً فى حزم أكثر ثقة :

- ولو أردتم رأى ، فهو لم يقدر لمكان أبداً ..
إنه هنا .. يراقبنا ، ويستمع إلينا ، ويدرس ردود أفعالنا .. و ...

وارتسمت على شفثيه انتمامة ساخرة ، وهو يضيف :

- ويتميز غضباً ، لأننا قد كشفنا أمره .

لم يكذ ينطق العبارة الأخيرة ، حتى ارتجت جدران المعبد فى عنف ، وبدأ وكثتها مستنهار على رعوس من بداخله ، فاطلقت صرخاتهم المذعورة ، فيما

عدا (نور) و(أكرم) .. التلقى تلتفت حوله فى توتر بالغ ، وهو يقبض فى عصبية على مسندته ، الذى لم تعد خزائنه تحوى سوى رصاصة واحدة ..

والأول وقف ثابتاً ، قوياً ، متماسكاً ، تطل من عينيه نظرة صارمة ، تفيض بالحزم والتحدى ..

ثم تهاوت الجدران ، وانهار سقف المعبد فجأة ..
لم تسقط كلها كجدران ، أياً ما كانت ماهيتها ..
وإنما ككتلة ضخمة من البلازما ..

كتلة شبه سائلة ، حمراء ، لزجة ، تهاوت وانتشرت بين أقدامهم فى سرعة ، حاملة معها الليل على صدق كل كلمة تنطق بها (نور) ..

فهنالك ، وفى نفس موضعه السابق ، كان يقف تلك الكاهن الرهيب ..

وخلفه ، وعلى عمود من الرخام ، استقر (إصبع الشيطان) ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

والكل يفلتون وسط الأحراش مباشرة ..

وكان هناك آخرون ..

جيش من الترنوج البدائيين ، يصوبون إلى (نور)
ورفاقه أسلحتهم ..

« ما ترونه الآن ليس وهما .. »

الطلق الصوت صارما ، جافا ، غاضبا ، في أعصى
أعصى مخ (نور) ، لذى انعقد حلقاه في شدة ، وعناء
ترصدان أسنة الرماح ، ورعوس السهام الحادة ..

فكلها ، في تلك اللحظة ، كانت تحمل له ولرفاقه
الموت ..

الموت وحده ..

وبلارحمة ..

* * *

٧- ثورة ..

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) في شدة ، وهو يطلع
لنتائج ، التي تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، في
مركز الأبحاث الطموية ، قبل أن يقول في توتر :

- هذا التقرير غير قابل للتصديق .

لجابه كبير العلماء في حزم :

- مهما بدا عجيبا ، فهو ما توصلنا إليه ، بعد أن
درسنا كل شيء ، وفحصنا كل النتائج .

ثم اكتسب صوته ثقة وصرامة ، وهو يضيف :

- هذه الأحراش كلها ليست سوى نمط خداعي
متفوق ، لم تبلغه علومنا بعد ، وكل ما تحويه ليس
نباتيا ، بل وليس حتى حقيقيا .. إنه مزيج عجيب ،
يتكون في أساسة من البلاتما والفسفور ، مع مجموعة
من عناصر نادرة أخرى .

حدثي الدكتور (جلال) في النتائج على الشاشة ،
وغمغم بصوت لم تفارقه للدهشة بعد :

- بلازما وفسفور ، بكل هذه الكمية .

وصمت لحظة ، ثم هتف مستكراً :

- مستحيل !

أجابه كبير العلماء :

- هذه الاستحالة العلمية هي ما أربكنا في البداية ،
لولا أن اتفقتا على أننا أمام حالة غير نمطية ، وينبغي
أن نتعامل معها بأسلوب وتفكير غير نمطي .. ومن هنا
فقط تفتحت أمامنا الحقائق ..

وأشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطرداً في حسم :

- في علمنا ، وبإمكانياتنا المتطورة للمعاصرة ، من
المستحيل إنتاج كل هذه الكمية من البلازما ، فإنتاج
مثلاً ربما يحتاج إلى ما يقرب من مليون عام

غمغم الدكتور (جلال) مستكراً :

- مليون عام .

أجابه كبير العلماء في حزم :

- نعم .. مليون عام .. وهذا بضعا أمام احتمالين ،
لا ثالث لهما .. إما أن يكون خصمنا من عالم آخر ،
يلفوق تطورنا ألف مرة على الأقل ، أو أنه كان لديه
الوقت الكافي لإنتاج كل هذه الكمية .

قال الدكتور (جلال) في استكثار أكثر :

- كان لديه مليون عام 19

أجابه كبير العلماء :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه عنصر حضارة سابقة
أيضاً ، خلال هذه الأعوام المليون .. حضارة بلغت
أوجها ، قبل أن تفتس ، وتفسح الطريق لحضارتنا
هذه ، التي لم تبلغ فيها ما بلغت تلك الحضارة
السابقة بعد ، وهذه نظرية علمية قديمة ، يكشف
العلم في كل يوم ما يؤيدها^(*) ..

(*) حقيقة ، فهناك شواهد عدة على وجود حضارة قبلنا ، بلغت
درجة مذهلة من التقدم العلمي . ثم فُوت لأسباب خارجية ، أو لحروب
داخلية متعلقة شاملة ..

بدأ اعتراض الدكتور (جلال) يتخائل، وهو يضم :

- وكيف لم يكن معها ؟!

أجابه عالم آخر في الفعل :

- نفس السبب الذي جعله يحيا لملاين السنين .. لأنه يمتلك القدرة على التوصل ، لو الكون طويل المدى ..

ثم أضاف كبير العلماء في حزم :

- لاحظ أن العلم والحفريات الجيولوجية تكشف حتى الآن ، لشكلاً وألواناً من الحياة ، التي سالت الأرض ، منذ ملايين السنين ، والتي لم تكن ندرى بوجودها قط ، فما بالك بأشكال الحياة التي فُتيت بالكامل ، دون أن يصلنا عنها دليل واحد ؟!

صمت الدكتور (جلال) طويلاً ، وهو يفكر فيما سمعه ورآه ، قبل أن يضم في خلوت شديد :

- إن فائتم تستطيعون نظرية القادم من علم آخر .

أجابه كبير العلماء في ثقة :

- إنه لن يحمل معه ألقاً من البلازما والفسفور ،

فقط ليحيط نفسه بعالم وهمي ، ينطوي داخله لآلاف
السنين .

لوما الدكتور (جلال) برأسه متفهماً ، وهو يضم :

- بالتأكيد .

تبادل العلماء نظرة صامتة ، قبل أن يتنحج
لحدهم ، قفلاً :

- هناك مشكلة أخرى .

سأله الدكتور (جلال) في قلق :

- وما هي ؟!

أجابه في حذر :

- النشاط الإشعاعي الحيوي ، المنبعث من تلك
الأحراث ، بلغ حده الأقصى ، ولم يعد يشبه تلك الخاص
بعمليات الهضم .. لذا فقد استعاض بخبير نفسي ، متخصص
في تفسير الانبعاثات الحرارية الحيوية .

سأله الدكتور (جلال) ، في نهفة أشد قلقاً :

- وماذا قال ؟!

أجابه كبير العلماء هذه المرة :

- أولاً ، قل : إن الأحرار تموج الآن بأعداد كبيرة من البشر ، لم يكونوا هناك في التسجيلات السابقة .

اتخذ حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يحاول إيجاد تفسير لهذا ، متسائلاً في حذر قلبي :

- وثانياً ؟!

تبادل العلماء نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يجيب أحدهم :

- أن الانبعاث الحراري الحيوي ، يشبه ذلك الذي ينبعث من شخص مختل عقلياً ، وغاضب إلى أقصى درجة ، ويسعى لـ ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدة توتره وتردده ، فهتف به الدكتور (جلال) :

- لماذا ؟!

صمت العالم لحظة ، ثم أجاب في حزم :

- للقتل .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله بهتف ..

بمنتهى الخف ..

* * *

للدقيقة كاملة ، لم يتحرك أحد ، أو ينبعث حرف واحد من أي مخلوق ..

لا (نور) ورفاقه ، ولا جيش الزنوج البدائيين ، الذي يصوب إليهم أسلحته ..

وطوال تلك الدقيقة ، كان (نور) يتطلع إلى عيني ذلك الكاهن الناريتين مباشرة ، في تحد صارم قوي ، قبل أن يقول في غضب :

- والآن ماذا ؟!

قال (أكرم) في عصبية ، وهو بلوح بممنسه :

- (نور) .. أهذا وهم أيضاً ؟!

غمضت (سلوى) في رعب :

- إنه يبدو نى حقيقة .

غمغت (نشوى) :

- وأنا أيضا ..

ولم ينس الدكتور (عبدة) ، أو الدكتور (حجازى) ،
أو الدكتور (رمسيس) ، أو حتى (رمزى) بحرف
واحد ، وهم يذرون عيونهم فى ذلك الجيش الهائى
الرهيب ..

أما (مشيرة) ، فقد هتكت فى سخط :

- أكان من الضرورى أن يتعطّل عمل آلة التصوير ؟!

التفت إليها (أكرم) فى دهشة مستكرة ، قبل أن
يهتف فى حلق :

- يا للنساء !

ثم يسأل (نور) مرة أخرى ، فى عصبية لشد :

- أهذا وهم أم حقيقة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة .

« لقد أثبت لك أكثر نكاه ، من كل من تعلمت معهم
فى حياتى الطويلة بالفعل .. »

تبعث الصوت الغضب داخل عقل (نور) ، الذى قد
اتفقد حاجبيه ، دون أى تعليق ، فواصل الصوت فى
غضب أكثر :

- الآخرون عجزوا عن استيعاب حقيقتى ..
لا أحد لمكنه أن يتخيل الأمر .. كلهم خدعهم العالم
الوهمى ، الذى أحيط نفسه به ، ولم يمكنهم رؤية
الحقيقة .

قال (نور) فى صرامة :

- والآن سقط القناع ، وانكشفت الحقيقة .

بدأ له الصوت ، الذى يتردد داخل عقله ، وكأنما
أضيق إلى الغضب فيه رنة سلخرة ، وهو يقول :

- الحقيقة ؟! كلاً أياها العبرى .. لقد توصلت إلى
الكثير ، ولكنك لم تصب كبد الحقيقة بعد .

وانتقد حاجبا (نور) بشدة أكثر وأكثر ، عند هذه النقطة ..

لم يصب كبد الحقيقة ؟

هناك أمر ما مازال ينقصه إذن .

أمر حيوى للغاية ..

أمر يصنع الفارق ، بين معرفة التفصيل ، وإصابة كبد الحقيقة مباشرة ..

ولكن ما هو ؟

ما هو ؟

« لا تجهد نفسك ، لأنك لن تكشفه قط .. مهما بلغت عبقريتك .. »

لم يسمع الآخرون العبارة ، التى انتقطها عقل (نور) وحده ، ولكنهم سمعوه جميعا يقول فى صرامة :

- أهذا تحد آخر ؟

بنت عليهم الحيرة ، ولكن أحدهم لم يعلق أو يعترض ،

وقد أدركوا أن حوارا خاصا خفيا ، يدور بين عقله وعقل خصمه وحدهما ، والذى قال فى سخرية :

- اعتبره كذلك .. اعتبره التحدى الأخير .

مع آخر العبارة ، لفتى ترئنت فى عقل (نور) ، رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ، فتألفت عيون الزنوج المحيطين به ، وجذب بعضهم أوتار الأقواس ، فى حين رفع الآخرون رماحهم فى تحفز ، وذلك للصوت الشامت يتابع ، فى أعماق أعماق عقل (نور) :

- الذى سيفن معكم جميعا .. هنا .

وبدا من الواضح أنها النهاية ..

نهاية عملية الكاهن الرهيب ..

ونهاية (نور) .. وفريقه ..

تماما ..

* * *

رياح عجيبة ، تلك التي بدأت تهبّ على عاصمة تلك
الدولة الإفريقية ، مع اقتراب منتصف الليل ..

رياح سلطنة ، قوية ، تحمل رائحة عجيبة مخيفة ..
رائحة الخطر ..

ولمشر ..

ومن خلف نافذة حجرته الكبيرة ، وقف رئيس
الدولة ، يراقب تأثير تلك الرياح على أشجار حديقته ،
وهو يتمم في توتر بالغ :

- إنني لم أشهد ريلًا كهذه منذ مولدي .

تمتم مدير المخابرات ، ألوقف إلى جواره :

- وأنا أيضًا .

التفت إليه الرئيس ، متسلاً :

- هل بلغت أية معلومات ، عن رد فعل رجل الشارع

العادي ، إزاء هذه الرياح العجيبة ؟



رفع الكاهن يديه ، وبيتهما تلك الجمجمة غير البشرية

أوما مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

- الوقت متأخر ياسيادة الرئيس ، وغدا يوم عمل ،
لذا فقد أوى لكل تقريئًا إلى بيوتهم ، والخوف يملأ
نفوسهم ، من هبوب هذه الرياح ، في الليلة التي
يتصورون أنها ليلة الحسم .

شمع الرئيس :

- ليلة الحسم ١٢

أجاب مدير المخابرات :

- نعم ياسيادة الرئيس ، فلنسب ما عجز خبراء علم
النفس عن تفسيره ، يوقن الشعب كله أن المواجهة
بين المصري (نور الدين) ، بطل التحرير ، وذلك قكاهن
الرهيب ، ستحسم حتمًا ذلك الرعب ، الذي طال لألاف
السنين .

قال الرئيس في قلبه :

- السؤال هو : ستحسم لصالح من ؟

قال مدير المخابرات :

- الأمل يروود للشعب ياسيادة الرئيس .

ملاحه :

- الأمل في ماذا ؟

أجاب مدير المخابرات في سرعة :

- في التحرر .

تنهّد الرئيس ، وتمتم في خفوت :

- ليت هذا يحدث .

ثم هز رأسه ، مستطردًا في مرارة :

- وكم يؤسفني أن يأتي الخلاص على يد المصريين ،
وليس على يدنا نحن .

تمتم مدير المخابرات :

- المهم أن يأتي .

أوما للرئيس برأسه مؤيدًا ، وهو يتمتم بخفوت

شديد :

- صدقت .

واعتلل ، يتطلع إلى أشجار حديقة ، وهي تتمايل
بشدة ، وتتساقط بعض أوراقها الجافة ، بتأثير للرياح
للساخنة ، قبل أن يقول فى توتر أكثر سخونة :
- فلنأمل أن ينحسم الأمر لصالحنا نحن .

التفت إليه مدير المخابرات فى دهشة ، فاضاف فى
حزم :

- نحن البشر .

وكانت عبارته صادقة تماماً ..

والى أقصى حد ..

* * *

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد (لكرم)
وأصابه تكاد تعصر مقيض منمنه ، الذى لم تعد
خزائنه تحوى سوى رصاصة واحدة ..

أما الهاقون ، فقد اتسعت عيونهم فى رعب ، وهم

ينتظرون الموت برمح قديم ، أو سهم يخترق العنق ،
أو يغوص فى القلب ..

هذا لأن الزوج ، الذين يحيطون بهم ، ويتحلقون
لقتلهم ، بتلك الأسلحة البدائية ، كانوا يبدون مملوحي
الإرادة ، خاضعين لتأثير ذلك الكاهن الرهيب
تماماً ..

ولقد برقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ..

وحملت كل الشر ..

والغضب ..

والشمعة ..

والجمجمة غير البشرية ، التى بين يديه ، بدأت
تتلقى ..

وتتلقى ..

وتتلقى ..

و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الريح ، يشق هواء الأحراش
بمنتهى القوة ..

وأمام عيون الجميع ، اخترق تلك الجمجمة ، وفتزعها
من بين يدي الكاهن ، وطار بها ثلاثة أمتار أخرى ، قبل
أن يسقط معها ، وينغرس في الأرض ، وسط الأغصان
المتشابكة ..

واستدارت العيون كلها في مرعة ، إلى المصدر ،
الذي انطلق منه ذلك الريح ..

وخاصة عينا الكاهن الغاضبتين ، اللتان اشتعلتا بكل
غضب الجحيم ..

وكانت (مشيرة) أول من هتف ، في دهشة وفرحة
بلا حدود :

— سيّد (أمجد) .

حدثني الكل في (أمجد صبحي) ، الذي برز من بين
الأحراش ، قائلاً بالبتسامة ساخرة :

— مرحباً أيها السادة .. هل أدهشتكم رؤيتي هنا ؟!

هتف (أنكرم) :

— بل أسعدتنا في الواقع ياسيّد (أمجد) .

وسأله (نور) في حذر متوتر :

— ولكن كيف ؟! كيف أتيت إلى هنا ؟!

هزّ (أمجد) كتفيه ، مجيباً بالبتسامة ، لاكتساب قط
مع الموقف :

— بمظلة .

اشتعلت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وخاصة بعد أن بدا
وكان جيش المقاتلين البدائيين الزلوج الذي يتبعه ،
قد انفلق من سبات شيطاني عجيب ، فور اقتراع الريح
للجمجمة غير البشرية من بين يديه ، فقد انخفضت
الأسهم ورعوس الرماح ، مما جعل الدكتور (عبادة)
يهتف في انفعال :

- ربه ! لقد تلجلت لحظة موتنا .

رفع الكاهن ذراعيه فجأة ، وبدأ وكان عيناه قد اشتعلتا بنيران حقيقية ، استعد معها سيطرته على جيش الزنوج ، فهتف (أمجد) في سخرية :

- مهلاً أيها الأراجوز ! .. استعادة السيطرة ليست بالأمر السهل ، فلنا لم أت وحدي .

بدت الحيرة على وجوه الكل ، مع عيارته هذه ، وطمع (نور) في حذر :

- ماذا تعني يا سيد (أمجد) ؟ !

عقد (أمجد) ساعديه القويين أمام صدره ، وهو يتسهم ، قائلاً :

- يمكنك أن تقول : إنني أقود ثورة أيها المقدم .

ومع قوله ، برز جيش آخر من الزنوج من حوله ..

(*) الأراجوز : المهرج الشعبي باللغة العامية المصرية ، وأصل

الكلمة (قراقوز) .

جيش صوب أسلحته إلى الكاهن ، والزنوج لمحيطين به ..

جيش طلاووجه بطلاء الحرب ..

وفي هدوء مستقل ، تابع (أمجد) :

- لقد فاض الكيل ببعضهم ، وفرزوا الثورة على تلك التديكتاتورية الشيطانية ، التي سيطرت على أجدادهم لآلاف السنين .

« ثورة ؟ ! يا للمخافة .. »

سمع (نور) العبارة في أعماق عقله ، فطمع في صرامة :

لكل شيء نهاية .

لناه ذلك الصوت رهيباً ، قاسياً ، صارماً ، غاضباً ، وهو يقول ، بعبارة لم يسمعها سوى عقل (نور) وحده :

- وبدنية أيضاً .

ومع آخر القول ، رفع الكاهن ذراعيه مرة أخرى ،
ثم فتح فكيه عن آخرهما ، فقطعت من بينهما لسان من
نار ..

لسان رفيع طويل ، أضواء المكان كله ، فانتقلت
صرخات الزوج في ألم وقوة ..

ومن الجانبين ..

الجيشان معاً راحا يطلقان صرخات ألم هائلة ، والكل
بفلت أسلحته ، ويرفع كفيه لممسك جاني رأسه ،
وكأنما اخترق لسان اللهب هذا عقولهم جميعاً ،
وأذاب أمثالهم بلارحمة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- ماذا ؟ ماذا يفعل بهم ؟

والهار الدكتور (عبادة) هاتفاً :

- إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولوح (أكرم) بمسدسه في توتر ، وهو لا يدري

ما الذي يمكنه أن يفعله ، في حين تراجع الدكتور
(حجازي) والدكتور (رمسيس) بحركة آلية ،
وصرخت (نشوى) رعباً ، وهتفت (مشيرة) في
حنق :

- لماذا تعطلت آلة التصوير ؟ لماذا ؟

وفي حركة سريعة ، وثب (أمجد) يلتقط رمحاً آخر ،
وهتف ، وهو يقذفه نحو الكاهن بكل قوته :

- لن تنتصر أبها الوغد .

تساقط الزوج من الجانبين ففقدوا الوعي ، في نفس
اللحظة التي انطلق فيها الرمح القوي ، وغاص في جسد
الكاهن ، لينفذ من ظهره ، في مشهد رهيب ولكنه لم
يسقط ..

فقط ، اشتعلت عيناؤه أكثر ، وهو يخفض ذراعيه ،
وينتزع الرمح من صدره في بطء ، جعل (مشيرة)
تتعمق في رعب :

- رهاه ! إنه لا يموت بالفعل .

وانعقد حاجبا (نور) و (أمجد) فى شدة ، ألم تلك
الظاهرة غير البشرية .. و...

وفجأة ، ألقى للكاهن الرمح نحو (أمجد) ..
وبكل قوته ..

وبرد فعل سريع ، مال (أمجد) جثثا ، وانحنى
متفاديا ذلك الرمح ، الذى انغرس فى جذع الشجرة
خلله ، ولكنه لم يكد يعادل ، حتى التفت أغصان
الشجرة نفسها نحوه ، وضمته إليها فى قوة ، فهتف
(نور) :

- يا إلهي ! السيد (أمجد) ..

أناه ذلك الصوت العقلى ، يقول فى شماته :

- إله غيبى .. لقد تحدى قوتى وخبرأتى .. لذا
فسيموت .. تماما كما ستموتون جميعا .

صاح (نور) فى صرامة :

- أسمعك كلها سقطت أيها الحقير .. وهمك لم يعد
قلرا على خداعنا .

بدا الصوت ساخرا واثقا ، وهو يقول ، داخل عقل
(نور) مباشرة :

- لوهم مجرد وسيلة .. وسيلة أهدت على الكائنات
الضخمة منذ ملايين السنين .. وسيلة منحنتى عشرات
الآلاف ، الذين لا هم لهم سوى خدمة وحماية
سيدهم .. أنا .

اتخذ حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يفهم :

- نعم .. التابع يخدم ويحمى سيده .

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

- ولكنك أسقطت كل تابعيك أيها الأحمق .

حمل الصوت سخرية الدنيا كلها ، وهو يترنّد في
عقل (نور) ، قالاً :

.. ما زال هناك تابعون آخرون ..

خَيْلٌ إليه إن العبارة قد قتلت بضحكة سلخرة شيطانية
عجيبة ، امتزجت بصيحة (أكرم) :

.. رباه ! الرفاق .. ماذا أصابهم يا (نور) ؟

واستدار (نور) بحركة حادة ..

ثم انتفض جسده كله في عنف ..

فأمامه مبشرة ، وباستثناء المسيد (أمجد) ، قذى
يقاوم أغصان الشجرة القوية في استماتة ، و(أكرم)
الذى يتراجع في ارتياح ، كان الجميع يتقنمون نحوه ،
وعيونهم تشتمل كعيون ذلك الكاهن ، وعلامتهم
تحمل الشر ..

كل الشر ..

لقد كانت ثورة شيطانية ، يسيطر خلالها خصمه
على عقول الباقين ، ويدفعهم نحو هدف يحقق له
الانتصار ..

نحو قتل (نور) ..

وبلا رحمة .

* * *



٨ - الختام ..

فجأة ، انقضت الرفاق على (نور) و(أكرم) ..

انقضوا بغضب عجيب ، وشراسة بلا حدود ، وعونهم تشتعل بنظرة ذلك الكاهن الراهب ، وكأنا استقر في كينونتهم ، وسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، لندفعهم إلى الهجوم على رفيقهما ..

وتمزيقهما إربًا ..

ومن موقعه ، الذي يقاوم فيه أغصان الشجرة الحية في استماتة ، شاهد (أمجد) (نور) و(أكرم) يتراجعان أمام رفاقهما ، وهما عاجزان عن مواجهة هجومهم الشرس ..

وكان باستطاعته أن يفهم نقة وحساسية الموقف ..

فكم كان داهية ذلك الكاهن ، عندما سيطر على عقول الآخرين ..

من المستحيل أن يقتل (نور) زوجته ، أو ابنته ،
أو رفاق عمره ؟
مستحيل ؟

و(أكرم) أيضًا ، لن يطلق النار على رفاقه ..

حتى ولو كان الثمن حياته ..

كل ما فعله (أكرم) ، هو أن راح يتراجع ، هاتفاً :
.. لا .. لا تدفعوني إلى العنف ..

ولكنهم لم يسمعوه ، وإنما انقضوا ، وهاجموا ..

وبمنتهى الوحشية ..

أما (نور) ، فقد انطلق عقله في اتجاه آخر تمامًا ..

لقد فهم ما حدث فور حدوثه ..

فهم أن خصمه قد استقل وجود رفاقه في قبضته ،
فشفى جراحتهم وإصاباتهم ، ليسيطر على عقولهم ،
ويسلبهم إرادتهم ، من أجل لحظة كهذه .. ثم فجأة ،

وهو يستعد لصد هجوم رفاقه في رأس ، تفجرت في
عقله عشرات المشاهد والعيارات والأحداث ..

التابع يخدم ويحمي سيده ..

الوهم مصدر قوته ..

الوهم يحميه من المخلوقات الكبيرة ..

الكاهن لم يتم رصده حرارياً في المتحف ، على
عكس الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

الكاهن صنع به أموراً يعجز العقل عن تصديقها ،
كما قال الدكتور (مينا) ..

لكل يخافه ..

وبخشاه ..

الكاهن أعلن وجوده ليمتعيده ..

والتابع يحمي ويخدم سيده ..

يحمي ويخدم سيده ..

يحمي ويخدم ..

وفجأة ، أضى عقله كله دفعة واحدة ، على نحو
جعلته يصرخ في (أكرم) بكل قوته .

- رصاصتك يا (أكرم) .. رصاصتك الأخيرة .

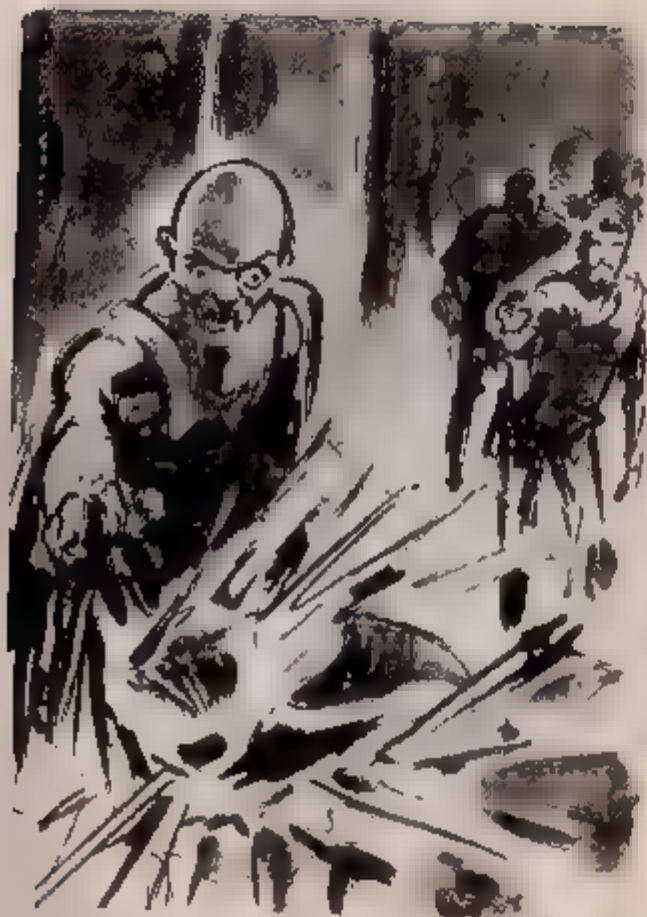
صاح (أكرم) ، وهو يتفادى النقضاضة رفاقه
الأخيرة :

- مستحيل يا (نور) ! لن أطلق عليهم رصاصة
واحدة .

مال (نور) جانباً متفادياً النقضاضة الدكتور
(عبادة) ، ولكن المقاتل (أشرف) وثب نحوه ،
وانسقطه أرضاً ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فصرخ
(نور) بكل قوته :

- الإصبع يا (أكرم) .. إصبع الشيطان .

لم يكن هناك وقت لو مجال للتفكير ، والمناقشة ،
والفهم ..



ولكن رصاصه (أكرم) كانت تعرف طريقها جيداً
وبمنتهى الأحكام

لذا ، فلم يكد (أكرم) يسمع صرخة (نور) ، حتى
استدار بكل كنيته ، ورفع قوهة ممسكه ، و ...

وأطلق رصاصته ..

رصاصته الأخيرة ..

واشتعلت عينا الكاهن الرهيب ، وهو يتحرك في
سرعة ، وكأنما يحاول حماية الإصبع ..

ولكن رصاصه (أكرم) كانت تعرف طريقها جيداً ..

وبمنتهى الأحكام ..

والدقة ..

وأمام عيني (أمجد) ، نسفت رصاصه (أكرم)
ذلك الصندوق الزجاجي للبدائي ..

ثم نسفت إصبع الشيطان نفسه ..

وكتعبان قتل ، طار إصبع الشيطان في الهواء ، وهو
يتمزق إلى نصفين ، وتفجّر منه سائل أزرق ، تتناثر في
الهواء ، الذي انطلقت فيه صيحة مكتومة رهيبه ، قبل
أن يسقط الإصبع مسحوقاً على الأرض ..

ومع سقوطه ، اتهار كل شيء بفتة ..

الأشجار ..

والنباتات الضخمة ..

والأغصان القوية ..

وحتى ذلك الكاهن الرهيب ..

ففي لحظة واحدة ، وجد (أمجد) نفسه يتحرر ، وكل شيء من حوله يذوب ، ويتحول إلى بحيرة ضخمة من البلازما الحمراء ، رلحت الأرض تمتصها في شراهة ، في نفس اللحظة التي تجمد فيها الكاهن ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم ذاب فجأة ، وتسكب ومط بحيرة البلازما ، التي أحاطت بكل شيء ..

وفي نفس اللحظة ، تحرر الرفاق أيضا ..

تحررت عقولهم ومشاعرهم ، وحذقوا في بعضهم في دهشة وذعر ، ثم حققوا في بحيرة البلازما التي تحيط بهم ، قبل أن تهتف (سلوى) :

- رياه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب كل شيء ؟!

نهض (نور) ، ولزاح المقاتل (أشرف) ، ثم اتجه في حزم نحو إصبع الشيطان ، الذي مزقته رصاصة (أكرم) ، وأشار إليه ، قائلاً في حزم :

- دعوني أقدم لكم خصمنا الرئيسي .

حنكى الكل في بقايا الإصبع الممزق ، قبل أن يهتف الدكتور (حجازي) في ذهول :

- وماذا عن الكاهن ؟!

اعتدل (نور) ، قائلاً في صرامة :

- لقد فتى .. ذاب ، فلم يكن كغيره سوى تابع صورة وهمية ، الغرض منها أن تحمي السيد الحقيقي .. ذلك الإصبع .. إصبع الشيطان ..

وكانت مفاجأة عنيفة ومذهلة ..

ويكل للمقانييس ..

* * *

« كائن نادر ، عاش على الأرض منذ ملايين السنين .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وهو يولجه أفراد
الفريق ، فى مقرهم الخاص ، فى مبنى المخبرات
العلمية ، فى (القاهرة) ، ثم التفت نفساً عميقاً ،
ليضيف :

- العجيب أنه قد تم العثور على بقايا كائنات مملوكة ،
فى حفريات قديمة ، ولكن العلماء تصوّروا أنها بقايا
مبتورة لبعض الكائنات النادرة ، ولم ندرك ، إلا بعد
فحص بقايا ذلك الإصبع ، أنها كائنات حية متكاملة .

هزّت (صلوى) رأسها ، قائلة :

- نست لدرى كيف تمكّن (نور) من استنتاج هذا ؟

ابتسم (نور) ، قائلًا :

- هو منحنا كل وسائل تدميره ، دون أن يدري
يا عزيزتى .. هو الذى حشّا خزنة (أكرم) بالرصاصة
ليثبت تفوقه ، وهو الذى قال : إن مهمة التابع أن
يحمى ويخدم سيّده .. وفى لحظة بعينها ، استعد
عقلى تلك العبارة : مع كل الأحداث الفلسفية الأخرى ..

تذكّرت حديث أفراد البعثة الأولى فى رعب عن إصبع
الشيطان ، وقول السكان المحليين : إن الكاهن لا يموت
أبدًا .. والحديث عن موته عشرات المرات ، ثم عودته
إلى الحياة مرة أخرى . تذكّرت كيف ظهر بقعة فى
القاعة الجديدة فى المتحف ، وكيف أن أجهزة الفحص
الحرارى لم تلتقط أية علامة للحياة من جسده ، فى
حين أنها أشارت إلى أن الإصبع نفسه يبيت حرارة
تشبه مثبته الأجساد الحية .. ثم تذكّرت فجأة أيضًا
عبارة أخرى ، قال فيها ، عبر عقلى مباشرة ، إن
قدرته على الوهم تحميه دومًا من الكائنات الكبيرة ..
كل هذا تراص فى عقلى فجأة ، فاستنتجت الحقيقة .

تتم (أكرم) مبهورًا :

- ويا لها من حقيقة !

تابع (نور) :

- لقد أدركت عندئذ أن الكاهن ليس هو السيّد ..
فه فقط التابع الوهمى ، الذى يولجه به إصبع الشيطان
الكل ، والصورة القادرة على إرهابهم وإخضاعهم ..

صورة وهمية صنعها لتناسب الموقف ، نظراً لصعوبة أن يخضع الكل لكائن ضئيل ، في حجم وهيئة إصبع بشري .. وهذا هو سر قوة ذلك الكاهن .. إنه مجرد وهم .. وهم شبه مادي ، لا يمكن تكميره لوقته ، مادام العقل الذي ينجبه لا يزال على قيد الحياة .. وهم يحمي الكائن الضئيل من الكبار ، كما حماه منذ ملايين السنين من عصر الديناصورات الضخمة .

قلت (نشوى) في لبهار :

- إذن فقد كان ذلك الإصبع كائناً متكاملأً ، يحيا لملايين السنين ، ويمتلك عقلاً جباراً .

وهنا قال الدكتور (جلال) :

- خبراؤنا يقولون : إن أسلافه لم يكونوا كذلك ، ولكنه نطن في نفس الموضع ، الذي نطنت فيه حضارة سابقة كبسولة خاصة ، تحوى كل علومها وفنونها ونماذج من تقنياتها المتطورة ، كوسيلة لإعلام الحضارات القادمة بأمر وجودها يوماً .. ولكي تحيا هذه الكبسولة لملايين السنين ، أضيف إليها جهاز

بث قوى للغاية ، يطلق أشعة وموجات خاصة ، لم تكشف هويتها بعد ، لتحديد موقعها ، وجذب انتباه أية حضارة متطورة إليها .. تلك الموجات ، الشبيهة بموجات (جلما) على الأرجح ، ظلت تؤثر على الكائن المتحوصل لملايين السنين ، مما غير من تركيبه الأساسي ، وصنع منه تلك الطفرة ، التي حولته إلى كائن عبقري ، طويل العمر إلى درجة تقارب الخلود ، ويمتلك قدرات عقلية مذهلة ، تزيد عشرات الأضعاف على ما امتلكه أسلافه ، منذ ملايين السنين .. وأقد عثرنا بالفعل على بقايا تلك الكبسولة ، مدفونة في الموقع الذي كانت تحتله محرفة المعبد القوي .. وعلى عمق عشرة أمتار .. لقد استهلك ذلك الإصبع الشيطاني معظم محتوياتها ، ومنها تلك الجمجمة غير البشرية ، التي تركتها لنا الحضارة السابقة ، كنيل على فصلها بكائنات من كواكب أخرى في أوجها ، وبذور النباتات التي لم يعرفها عالمنا قط ، وجهاز بث الموجات الشبيهة بموجت (جلما) ، والذي كان السبب الرئيسي في تقطاع الاتصالات ، وتوقف كل الآلات والأجهزة الإلكترونية ، التي تقع في مجالها .

قال (رمزي) :

- عظيم .. إن فقد أدى سقوط ذلك الشر إلى كشف حضارة سابقة عظيمة .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- من المؤسف أن معظم ماتحويه الكبسولة قد تلف ، بفعل عوامل الزمن ، ولكن ما تبقى فيها كثير ، وكثير جداً .. ولقد شكلنا لجنة مشتركة ، من علمائنا ، وعلماء تلك الدولة الإفريقية ، لكشف ما يمكن الاستفادة منه ، مما تبقى فيها .

تنهت (سلوى) ، واسترخت في مقعدها ، قليلة في ارتياح :

- لقد شاهدنا الأحوال هذه المرة ، ولكن من حسن الحظ أن انتهى كل شيء بسلام .

غمغم (نور) في أنسى :

- بعد كومة من الضحايا للأسف .

هز الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- لكل معركة ضحاياها ، ولكن المهم أنكم قد قضيتكم على شر عذب أجيالاً عديدة لآلاف السنين ، حتى إن شعب تلك الدولة يعتبركم أبطاله الآن .

وابتسم ، قبل أن يستطرد :

- ورئيس دولتهم بصرى على منح الجميع ميداليات الشرف .

غمغم (أكرم) في ضجر :

- إتني أكره التسميات .

ابتسم (نور) ، متممًا :

- كلنا هذا الرجل .

ابتسم الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يقول :

- ربما ينطبق هذا على معظمكم ، فلنتم هنا ، نتشغلون بصلكم عن حفلات تكريمكم ، والسيد (أمجد) عاد إلى عمله بعد تقديم تقريره للسيد الرئيس ، والدكتور

(محمد حجازي) عاد الفحص حالات الطب الشرعي الحرجة ، ويشارك خبراءنا في فحص بقايا إصبع الشيطان ، وكل ما تم الحصول عليه من البلازما ، التي ملأت الأحرش الحقيقية هناك ، ولكن الدكتور (رمسيس) يتحدث في كل مكان عن عبقريته ، في كشف زيف المعبد ، ويصدر الآن كتاباً عن ارتباط إصبع الشيطان بمولد عقيدة سحرة (الفودو) ، يؤكد فيه أنه المسئول عن مولدها .

سأله (أكرم) في لهفة :

- وماذا عن الدكتور (عبادة) ؟

ضحك الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- من العجيب أن تلقى أنت بالذات هذا السؤال ؟

سأله (أكرم) في توتر حذر :

- ولماذا ؟

أجابه مبتسماً :

- لأن زوجتك للسيدة (مشيرة) ، تجري معه الآن ، وفي هذه اللحظة بالذات ، لقاءً على الهواء مباشرة ، ليتحدث عن البهجة ، ودوره الخطير فيها ، وشجاعته الفائقة في كشف حقيقة إصبع الشيطان .

صاح (أكرم) مستكراً :

- في كشف ماذا ؟! ولكن (مشيرة) تعرف ما كان عليه الرجل هناك بالفعل .

أجابه الدكتور (جلال) في سرعة :

- إنها تعلم بالطبع .

ثم غمز بعينه ، وابتسم مستطرداً :

- ولكن المشاهدين لا يعلمون .

اتعدت حاجبا (أكرم) في حلق ، في حين انطلق الباقون يضحكون في مرج ..

وفي نفس اللحظة ، التي انطلقت فيها ضحكاتهم في (القاهرة) ، كان ضوء الشمس يغمر تلك المنطقة من

الأحراش الطبيعية ، في قلب (إفريقيا) ، والتي اتهمت
فيها فرقان من العلماء المصريين والأفارقة ، في
فحص بقايا كبسولة زمنية ، تركتها لنا حضارة سالت
الأرض قبلنا ، منذ ملايين السنين ..

وهناك ، عند قاعدة شجرة قديمة ، وتحت ضوء
الشمس ، الذي لم تشهده المنطقة منذ آلاف السنين ،
كان غلاف حويصلة صغيرة بنوب ..

حويصلة ظلت كمنة ، في الظروف غير
الطبيعية ، التي عاشتها المنطقة ، لأعوام طويلة ..
مليون عام ..

تقريباً .

[تمت بحمد الله]

www.lillal.com/vb3

^RAYAHEEN^

مع تحيات منتديات ليلال